

الفصل الرابع: السياسة لدى جماعة الإخوان المسلمين: -

المبحث الأول: قيام سياستهم على الدعاوى الباطلة.

المطلب الأول: دعوى الإخوان أنهم جماعة المسلمين والرد عليهم.

هل تمثل جماعة الإخوان المسلمين منهج أهل السنة والجماعة؟

لمعرفة إجابة هذا السؤال فلا نبحت عن عدد أفراد الجماعة في الحركة الإسلامية، أو المدى الذي وصلت إليه وسعة انتشارها، أو الفترة التي عاشتها الحركة، وإنما الذي يعيننا هو معرفة عقيدتها؛ لنقيم مقارنة بينها وبين الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة من أهل الحديث، فإن تحقق لنا ما نبغيه من مطابقة اعتقادهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيها ونعمت، وإلا رجونا الله لها الهداية، وندعوها إلى إتباع الكتاب والسنة بوسائل الدعوة التي شرعها الله ﷻ في قول الله ﷻ (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)) (١).

قال سعيد حوى: في إشارة منه لكون منهج الإخوان جماعة المسلمين الحق (إن هذه المعاني تكاد تكون من لباب دعوة الإخوان المسلمين، ولذلك فإننا في هذا المدخل استقرأنا النصوص لنصل إلى مواصفات جماعة المسلمين، وبرهنا على أنها موجودة في دعوة الأستاذ حسن البنا) (٢). وقال أيضاً: (ومع أنه لم يزل فقهاء الدعوى المعتمدون يعتبرون الإخوان المسلمين جماعة من المسلمين تسعى لأن تتحقق بمواصفات جماعة المسلمين، وأنها متى استطاعت أن تطور نفسها نحو ذلك فعندئذ تصبح جماعة المسلمين) (٣).

ويكمل سعيد حوى كلامه فيقول: (فلنر ما هي مواصفات الجماعة التي يصح أن نعتبرها جماعة المسلمين؟ ولنر ما إذا كانت هذه المواصفات منطبقة على جماعة الإخوان المسلمين كما أقامها حسن البنا) (٤).

ثم ذكر سعيد حوى في نفس الصفحة مواصفات جماعة المسلمين وذكر سبع صفات وهي (٥):

١ - الجماعة التي تحمل الإسلام بلا احتراس ولا احتراز.

(١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(٢) ينظر: سعيد حوى، المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، ص (١٦).

(٣) السابق، ص (١٩).

(٤) السابق، ص (١٩).

(٥) ينظر: المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ص (٢٢).

٢ - الجماعة التي ظهرت بها الآن صيغة الحق الوحيدة المتعارف عليها خلال التاريخ،
والمتمثلة بأهل السنة والجماعة.

٣ - الجماعة التي تستطيع أن تطرح صيغة الحق التي يمكن أن يجتمع عليها المسلمون.

٤ - الجماعة التي تتحرك في إطار عملي نحو تحقيق الأهداف الإسلامية وبطريق ذلك.

٥ - الجماعة التي تحاول تحرير المسلمين من أمراضهم التي أدت إلى إذلالهم وإهانة كرامتهم.

٦ - الجماعة التي يتحقق كل فرد من أفرادها بالصفات العليا لحزب الله: من محبة الله وذلة

على المؤمنين، وعزة على الكافرين، إلى جهاد في سبيل الله، وإخلاص الولاء لله U وللرسول R والمؤمنين.

٧ - الجماعة التي لا ينسى أفرادها أخوتهم لكل مسلم، ولا يبخسون أهل الفضل فضلهم،
ولا يتكبرون على الحق^(١).

ثم قال بعدما ذكر هذه الصفات ما نصه:

(والدليل على أن هذه كلها مواصفات لا بد منها للجماعة التي يجب على كل مسلم أن يضع يده في يدها، وهي متوافرة في جماعة الإخوان المسلمين، وكتابتنا (جند الله ثقافة وأخلاقاً) ذكر مواصفات حزب الله كما وردت في القرآن، وأن الإخوان المسلمين هم الذين اجتمعت لهم هذه المواصفات نظرياً، ويجاولون أن يتحققوا بها عملياً، بينما نجد غيرهم يفر من التبنّي النظري، ولا عمل إلا ويسبقه علم)^(٢).

في كلام سعيد حوى السابق أدلة واضحة على دعوى الإخوان المسلمين أنهم جماعة المسلمين، وأن هذه المواصفات قد أقامها مؤسس الجماعة ومرشدها الأول حسن البناء، وأكد على أن هذه المواصفات متوافرة ومجتمعة في جماعة الإخوان المسلمين، وأنهم يجمعون في هذه الصفات بين الجانبين النظري والعملي.

وقال أيضاً: (الإنسان إذا عرف هذه الجماعات وعرف الإخوان وطبق على الجميع الميزان، فإنه سيصل إلى أن حركة الإخوان المسلمين هي الجماعة التي ينبغي على المسلم أن يضع يده في يدها)^(٣).

هذه عبارات قليلة مكتوبة من أحد منظري الإخوان المسلمين المعاصرين، وهي ذات أدلة واضحة أن الإخوان يرون أن جماعتهم هي جماعة الإسلام، ويفهم منه أن الخارج عنهم خارج

(١) ينظر: المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين، ص (٢٠).

(٢) السابق، ص (٢١).

(٣) ينظر: حقيقة حزب الإخوان المسلمين، شبكة الدفاع عن السنة، مقال بتاريخ ٢٠/١/٢٠١٠م.

عنها، وقد بات هذا المفهوم يطبقه الإخوان في واقع حياتهم، ومن الأدلة والشواهد على ذلك ما يلي:

١ - يصر الإخوان على جعل البيعة للمرشد العام بمثابة البيعة للإمام العام، ومن المعلوم في الشرع الحكيم أن الخارج على الإمام العام خارج عن جماعة المسلمين.

٢ - يشن الإخوان المسلمون المبايعون في كل بلد إسلامي تقريبا حربا لا هوادة فيها على جميع الجماعات الإسلامية التي لا تنطوي تحت جماعتهم، ومهما كان أفراد تلك الجماعات أكثر فهما وعملا للإسلام فإنهم محل الاتهام والحرب وحملات الدعاية والتشويه، ويعتبر الإخوان المسلمون عملهم هذا مشروعا ما دام أنهم يعتبرون جماعتهم هي الجماعة الشرعية، وأنه لا يجوز إنشاء جماعة إسلامية أخرى مهما كانت أهدافها وأعمالها وإخلاص رجالها^(١).

وللرد على دعواهم في أنهم جماعة المسلمين نقول: إن دعوى الإخوان المسلمين هذه باطلة، إذ تعد من عوامل التخريب في الأمة الإسلامية، لأنها دعوى مخربة وفاسدة، كما أن منهج الإخوان المسلمين ودعواهم الخبيثة هي الباب الخلفي الذي يدخل منه أهل البدع من الفرق الضالة لكي يضلوا ويفتنوا أهل السنة والجماعة في دينهم؛ فالصوفي أو الأشعري أو الرافضي بل والإباضي لا يستطيع التصريح بعقيدته الباطلة والدعوة إليها علانية بين جماهير أهل السنة، وإنما يلج من خلال دعوة ومنهج الإخوان على جماهير أهل السنة متسترين بدعوة الإخوان المسلمين؛ لينشروا دعوتهم وضلالاتهم بين عوام أهل السنة، ولذلك فإن دعوى الإخوان المسلمين بأنهم جماعة المسلمين دعوى باطلة لخروجها على عقيدة المسلمين الصحيحة.

كما أن الإخوان يشنون الحرب الشعواء على الجماعات الإسلامية الأخرى، وخاصة السلفية، لأنهم يعتبرون أنفسهم أئمة الدين وحدهم دون سواهم مهما كان مخالفوهم أكثر علما ودينا وتقوى وجهادا.

ومن ثم فأى إمامة هذه التي نصبوا أنفسهم ولادة عليها دون غيرهم، وهم قد انحرفوا في عقيدتهم وعبادتهم، وخرجوا على ولي الأمر جاعلين الولاية والبيعة لإمامهم ومرشدهم؟ قال العلامة عبدالعزيز ابن باز (رحمه الله): (حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع، لهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط في الدعوة إلى الله، وعدم التوجه إلى العقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة)^(٢).

(١) السابق، ص (٢٦).

(٢) ينظر: مجلة المجلة، العدد (٨٠٦)، تاريخ ١٤١٦/٢/٢٥ هـ.

المطلب الثاني: دعوى التفريق بين السلفية المعاصرة وأهل السنة والجماعة

والرد عليهم:-

ومن ضلالات جماعة الإخوان تفريقهم بين السلفية المعاصرة وأهل السنة والجماعة ففي أحد أبحاثهم والمعنون له (مفردات السلفية الجديدة) يزعمون أن السلفية الموجودة الآن تشغل أكثر ما تشغل بمسائل التكفير، والتبديع، والتفسيق، والتضليل، فضلا عن اتهامهم إياهم بأنهم موالون للأجهزة الأمنية، بل هم أداة في أيديهم، بل هم جناء عن نقد الحكام والأنظمة في الأمور التي يجب النقد فيها، وكذا فإنهم ضعفاء في معاملتهم المسلمين، إذ تسيطر عليهم الغلظة والقسوة، كما أنهم ضعفاء في الالتزام بالمعتقد الصحيح، وكذا ضعفهم في العلم بواقع المسلمين وما يحاك للأمة من عداوات، وأن للسلفية أحكاما جزافية لا يعتد بها.

قال أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني: (ولقد نبتت نابذة في هذا العصر، سلكت مسلكا غريبا في الغلو: فتنادي — إيهاما وتليبسا — بأنها عن منهج السلف تذود وتدافع، وبكبار علمائه تقتدي وتتابع، وأن مخالفهم بينه وبين السنة فرق واسع، وبون شاسع، وأنه ما خالفهم إلا لأنه يبغض السنة، وأنه لأهلها منابذ ومنازع، أو لأنه يحب البدعة، وعن أهلها ينافح ويقارع!!!
فلما رفعت هذه النابذة هذا الشعار؛ اغتر بها كثير من ذوي الغيرة — بلا إدراك لحقيقة هذه الفرقة — وهروا وراءها كثير من الجهلة الأغمار، ومثلهم كمثل العطشان الذي يلهث وراء السراب، ومع أن هذه النابذة بعيدة — في ذلك — عن منهج السلف، ولم يسلم منها معظم كبار العلماء من الخلف؛ إلا أنها لازالت تدندن بما سبق، ولازال هناك من يهرول وراءهم، ومن يجاريهم اتقاء لشرهم^(١)!!

ويصف أهل السنة بأوصاف أشد من التبديع، ويقول للصحفي الذي يحاوره:
(ومن سميت من الغائبين^(٢) هم مختلفون من قبل الملتقى مع إخوانهم، ثم اختلفوا مع أنفسهم، وذلك لأنهم ينحون نحو الغلو والتطرف، كتبديع الناس، وسبهم، ولعنهم، والتشويه لصورة المخالف وإن كان أهدى منهم سبيلا وأقوم قيلا، وعدم قبول أي حق من المخالف، والقبول المطلق من الموافق بعجره وبجره، لاسيما إذا كان كبيرا فيهم^(٣))، وهذا انحراف عن الاتجاه السلفي

(١) ينظر الدفاع عن أهل الإتياع لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني ص(٣-٤).

(٢) يعني السلفيين.

(٣) هكذا بهذا الإطلاق والعموم الشامل لكل السلفيين في اليمن، وهكذا يكون العدل والإنصاف!!، فأني تشويه للسلفية والسلفيين

يفوق هذا التشويه والتنفير؟

الصحيح.. وجهور السلفيين على الجادة، وسارت قافلتهم نحو الاعتدال والوسطية^(١).
ويقول في ذمهم وتشويه منهجهم: (لأن هذا الفكر الذي شذوا به فكر انشطاري، فكر
تآكل لا منهج تكامل، فكر عدواني، وليس منهج رحمة وشفقة، أو تسديد ومقاربة، وقد رددت
على فكرهم المخالف للأدلة في مجلدين (الدفاع عن أهل اتباع).. وقد استرحنا حقيقة من فكر
هذه الطائفة من وقت قديم، ونحن مشغولون بقضايا المجتمع الذي نعيش فيه، لا قضايا وهمية، أو
نقيم الولاء والبراء على مسائل فرعية جزئية، وليس من المعقول أن يطغى فرع على أصل، أو
تطغى جزئية على كلية^(٢)).

إن دعوى الإخوان هنا باطلة؛ لأن السلفية المعاصرة أو الموجودة على الساحة الآن تسير
على منهج أهل السنة والجماعة وهو منهج الكتاب والسنة النبوية المطهرة والصحيحة، وما كان
عليه سلف الأمة y.

كما أن السلفية المعاصرة أو الموجودة الآن لا تكفر أحدا ولا تضلل، ولا تهتم بأمور
التفسيق والتبديع والتضليل وغير ذلك مما افتري به عليهم، وأن هؤلاء السلفية ينهجون نهج النبي
ﷺ فيما صح عنه قولاً وفعلاً، وهذا من الكذب الذي تناولته نصوص الكتاب والسنة على تحريمه،
وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب^(٣).

وليس لأحد من الناس أن يتهم أو يفترى الكذب أو يرمي أخاه ببهتان ليس فيه، وربما
كان هذا المفترى عليه عالماً، والعلماء لهم شأن عظيم عند الله فهم أوتاد الأرض وكراسيها،
وعليهم بعد الله u المعول في تنقية الشوائب فينفون عن هذا الدين تأويل الجاهلين، وانتحال
المبطلين، وتحريف الضالين، وفقهه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وما عبد الله بشيء
أفضل من فقهه في دين وعماد هذا الدين الفقه.

عن علي بن أبي طالب t قال: (العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم
- أي شق - في الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه)^(٤).

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر (رحمه الله): (اعلم يا أخي وفقني الله، وإياك لمرضاته،
وجعلنا ممن يخشاه، ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم

(١) ينظر: (أبو الحسن يدافع بالباطل والعدوان عن الإخوان ودعاة حرية ووحدة الأديان)، لربيع بن هادي عمير المدخلي ص (٣)،
ويقصد بوجهور السلفيين الذين وصفهم بهذه الصفات الحزب القطبي.

(٢) السابق ص (٤).

(٣) الأذكار للنووي، ص (٣٧٧).

(٤) كتاب المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، للحافظ أبي محمد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥هـ،
المكتبة القيمة، ص (٣٧).

معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب^(١) بلاه الله قبل موته بموت القلب^(٢).
 عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (من آذى فقيها فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله ﷻ)^(٣)، وفي الصحيح عنه ﷺ: "من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله بشيء من ذمته"^(٤)، وفي رواية: "فلا تخفروا الله في ذمته"^(٥).

المبحث الثاني: الغلو والتعصب:-

المطلب الأول: موقف السياسة الشرعية من الغلو والتعصب:-

الغلو: مجاوزة الحد بأن يزداد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحقه ونحو ذلك^(٦).
 قال الله ﷻ (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا مِّنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧))^(٧)، وقال ﷺ: "إن هذا الدين متين فأوغلوا"^(٨) فيه برفق^(٩)، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: "... إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): "إن دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه والله ﷻ ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر إما إفراط فيه وإما تفريط فيه"^(١٠).

لا تذهبن في الأمور فرطا ،،،،، لا تسألن إن سألت شططا،،،،،

وكن من الناس جميعا وسطا^(١١).

(١) ويقال: ثلب فلانا: عابه وتنقصه المعجم الوسيط (٩٨/١).

(٢) ينظر تبين كذب المفتري، ص (٢٨).

(٣) السابق.

(٤) أخرجه مسلم (٤٥٤/١) كتاب المساجد، باب: فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، (٢٦١، ٢٦٢، ٦٥٧)، وأحمد (٣١٢/٤)،

وعبد الرزاق (١٨٢٥٠)، وأبو يعلى (١٥٢٦)، وابن حبان (١٧٤٣)، والطبراني في الكبير (١٦٥٤/٢، ١٦٦١)، وأبو نعيم في

الحلية (٩٦/٣)، والبيهقي في السنن (٤٦٤/١) من حديث جُنْدُب بن عبد الله البجلي.

(٥) أخرجه الترمذي (٤٣٤/١): أبواب الصلاة: باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة (٢٢٢)، وأخرجه أحمد بلفظ: "من

صلى صلاة الفجر فهو في ذمة الله، فلا تخفروا ذمة الله عز وجل ولا يطلبنكم بشيء من ذمته"، رجاله رجال الصحيح.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ص (٩٦).

(٧) سورة المائدة الآية (٧٧).

(٨) يريد سر فيه برفق وابلغ الغاية القصوى منه بالرفق لا على سبيل التهافت والخرق ولا تحمل على نفسك وتكلفها ما لا تطبيقه

فتعجز وتترك الدين والعمل، ينظر: لسان العرب (٧٣٣/١).

(٩) أخرجه أحمد في المسند (٧٧/١١) قال الشيخ شاكر إسناده حسن، وقال الإمام الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله موثقون إلا أن خلف

بن مهران لم يدرك أنسا والله أعلم، مجمع الزوائد كتاب الإيمان باب في قوله خير دينكم أيسره (٦٢/١).

(١٠) الوصية الكبرى لابن تيمية ص (٢٠).

(١١) البيان والتبيين (١٣٩/١)، أدب الدنيا والدين ص (١٢)، تفسير القرطبي (١٥٤/٢)، زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢٢٤/١).

والغلو ليس من الدين إنما هو من انحراف المتدينين؛ كما أن الغلو سبب لإهلاك المتدينين
ولصرف غير المسلمين عن الدين وهو خروج عن فطرة الإسلام وعن قدرة الإنسان، والنفس
وديعة لله U.

ومما لا شك فيه أن نفس الإنسان لها أهدافها المنوطة بها وغاياتها التي تسعى إلى تحقيقها ولا بد
من سلامتها لتحقيق أغراضها وصيانتها للوصول إلى أهدافها، وأن الغلو يعود على النفس بالآثار
السلبية والنتائج العكسية التي تعوقها عما وجدت من أجله وتصيبها بالعطب والمرض، قال الله
U (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا
تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)) (١).

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال العثمان بن مظعون "وإن لنفسك عليك حقاً" (٢).
قال ابن رجب الحنبلي (رحمه الله): (يشير إلى أن النفس وديعة لله عند ابن آدم وهو مأمور
أن يقوم بحققها، ومن حقها اللطف بها حتى توصل صاحبها إلى المنزل) (٣).
قال الحسن البصري (رحمه الله): (نفوسكم مطاياكم إلى ربكم فأصلحوا مطاياكم توصلكم
إلى ربكم فمن وفى نفسه حظها من المباح بنية التقوى به على أعمال الطاعات كان مأجوراً في
ذلك) (٤).

قال معاذ بن جبل t : (إني أحتسب نومتي كما أحتسب قومتي ومن قصر في حقها حتى
ضعفت وتضررت كان ظالماً لها) (٥).

ومعلوم أن البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ (٦).
فالنفس ليست ملكاً للإنسان يتصرف فيها بمحض إرادته وعلى حسب مشيئته إنما هذه
النفس في حقيقتها ملك لله U ولا يتصرف فيها الإنسان إلا بما شاء الله وأي تصرف منحرف
يعود على النفس بالوبال والنكال. وهذا التصرف المنحرف يكمن في أمرين:

الأول: تعاطي المحرمات التي تمرض النفس وتضعها في دائرة من العلل والآفات التي تحوط بها
وتعوقها عن تحقيق أهدافها.

(١) سورة النساء الآية ٢٩.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧/٤) كتاب الصوم، باب: حق الجسم في الصوم (١٩٧٥)، ومسلم (٨١٣/٢) كتاب الصيام، باب: النهي
عن صوم الدهر (١١٥٩/١٨٢)، والنسائي (٢١٠/٤) كتاب الصيام، باب: صوم يوم وإفطار يوم، وأحمد (١٨٨/٢، ١٩٨)،
وابن حزيمة (٢١١٠).

(٣) لطائف المعارف ص (١٣١).

(٤) السابق.

(٥) السابق.

(٦) تفسير القرطبي (٣٩١٢/٦).

الثاني: إرهاقها في العبادة والتشديد عليها في الطاعة مما يجعلها تنقطع عن العمل وتمتنع عن الأداء.

فكلا الأمرين إفراط وتفریط وهما مرفوضان ولا يصلحان من حال النفس على الإطلاق وصلاحتها لتحقيق مهمتها ولتنفيذ دورها يكون في الانضباط بالشرع والسير في الحدود المعتدلة المناسبة لها، المتوائمة معها بلا إفراط أو تفریط.

والتشديد على النفس في الطاعة يسبب الملل الذي يستثقل الطاعة وينفر منها. قال ابن حجر العسقلاني (رحمه الله): (وحقيقة الملل استثقال الشيء ونفور النفس عنه بعد محبته)^(١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت عندي امرأة من بني أسد فدخل علي رسول الله ﷺ فقال: "من هذه؟" قلت: فلانة لا تنام الليل. تذكر من صلاتها فقال: "مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال فإن الله لا يمل حتى تملوا"^(٢).

وعن ابن مسعود t أن النبي ﷺ قال: "هلك المتنطعون"^(٣) قالها ثلاثاً، قال النووي (رحمه الله): (المتنطعون المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد)^(٤).

وعن أبي هريرة t عن النبي ﷺ قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)^(٥).

قال النووي (رحمه الله): في رياض الصالحين ومعناه: (استعينوا على طاعة الله U بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها فتصل المقصود بغير تعب)^(٦).

وعن أنس بن مالك t قال: دخل النبي ﷺ فإذا جبل ممدود بين الساريتين فقال: "ما هذا الجبل؟" قالوا: هذا جبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبي ﷺ: "لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد"^(٧).

(١) فتح الباري (١/٢٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣/٣، ٤٤) رقم (١١٥١) كتاب التهجد، باب: ما يكره من التشديد في العبادة، ومسلم في صحيحه بشرح النووي (٦/٣١٤)، رقم (١٨٣٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن.

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢٠٥٥)، في كتاب العلم، باب: هلك المتنطعون (٧/٢٦٧٠)، والطبراني في الكبير (١٠/٢٢٦).

(٤) رياض الصالحين، ص (١٥٠).

(٥) أخرجه البخاري (١/٩٣)، في كتاب الإيمان، باب: الدين يسر (٣٩)، والحديث في المشكاة، ص (١٢٤)، وفي الكنز (٥٣٤٣).

(٦) ينظر: رياض الصالحين، ص (٤٠).

(٧) أخرجه البخاري (٣/٤٣) في التهجد، باب: ما يكره من التشديد في العبادة (١١٥٠)، وأخرجه مسلم (١/٥٤١)، وأخرجه مسلم (١/٥٤٢٣)، في صلاة المسافرين، باب: أمر من نعس في صلاته (٧٨٤/٢٧٩)، وقال الحافظ في الفتح (٣/٤٤): جزم كثير من الشراح تبعاً=

يتضح مما سبق أن الغلو ينحو إلى ترك العبادة رأساً وإلى استئثارها، كما أن الغلو يؤدي إلى انقطاع العبادة بعد المواظبة عليها قال الله U (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى) (١)، وقال ابن عباس t : (أطاع قليلاً ثم قطع) (٢)، قال r "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" (٣)، وقال r : "تابعوا بين الحج والعمرة" (٤)، وقد سئل النبي r أي الأعمال أحب إلى الله U قال: "أدومها وإن قل" (٥)، وكانت عائشة (رضي الله عنها) إذا عملت عملاً لزمته (٦).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: قال لي رسول الله r : "يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل" (٧).

قال ابن الجوزي (رحمه الله): (إنما أحب الدائم لمعينين: أحدهما أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل فهو متعرض للذم. ثانيهما: أن مداوم الخير ملازم للخدمة وليس من لازم الباب في كل يوم وقتاً كمن لازم يوماً كاملاً ثم انقطع) (٨).

فالعامل الدائم المستمر ولو كان قليلاً إلا أنه مصحوب بالبركة محفوف بالخير يرقى إلى نجاته صاحبه وسلامة موقفه لكن العمل المغالي فيه كثيراً ينفك عن البركة وينمحي منه الأثر ويعود على

=للخطيب في مبهماته بأنها بنت جحش أم المؤمنين (رضي الله عنها)، ولم أر ذلك في شيء من الطرق صريحاً، وفي الحديث الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط، وفيه إزالة المنكر باليد واللسان للقادر المستطيع بشروطه المعروفة.

(١) سورة النجم الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٢) ابن كثير (٢٥٩/٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢/١٣) كتاب الرقاق، باب: التواضع (٦٥٠٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٩٥/٤)، كتاب المناسك باب فضل الحج والعمرة (٢٨٨٧)، وأحمد (٢٥/١)، وأبو داود (٣٤٤٧) من طريق سفيان بن عيينة عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث عن عمر فذكره، وأخرجه الحميدي (١٧) وابن ماجه (٢٨٨٧)، وأبو يعلى (١٩٨) من طريقين عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه عن عمر فزاد في إسناده: عن أبيه.

وقال البوصيري في الزوائد (٥/٣)، هذا إسناد ضعيف لضعف عاصم بن عبيد الله بن عامر بن عمر العمري.

(٥) أخرجه مسلم (٥٤١/١)، في صلاة المسافرين، باب: فضيلة العمل الدائم (٧٨٣/٢١٨).

(٦) أخرجه الإمام مسلم (٢٨٢/٣ - نووي)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، حديث (١٤١- ٧٤٦)، وأبو داود (٤٨/٢)، كتاب الصلاة، باب: ما يؤمر به من القصر في الصلاة، حديث (١٣٦٨)، والنسائي (٦٨/٢)، ٦٩، كتاب القبلة، باب: المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة، حديث (٧٦٢)، وأحمد (٤٠/٦)، والحميدي (٩٥/١)، ٩٦، حديث (١٨٣)، وابن خزيمة نحوه (٢٢٦٤/٢)، حديث (١٢٨٣)، والبيهقي (٤٨٥/٢)، كتاب الصلاة، باب: من أحاز قضاء النوافل علم الإطلاق.

(٧) أخرجه البخاري (٤٥/٣) كتاب التهجد: باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقوم حديث (١١٥٢)، ومسلم (٨١٤/٢) كتاب الصيام: باب النهي عن صوم الدهر حديث (١١٥٩/١٨٥)، والنسائي (٢٥٣/٣) كتاب قيام الليل باب ذم من ترك قيام الليل، وابن ماجه (٤٢٢/١) كتاب الصلاة: باب ما جاء في قيام الليل حديث (١٣٣١)، وابن خزيمة (١٧٣/٢) رقم (١١٢٩)، وابن حبان (٣٦٨ ٣٦٧/٦) رقم (٢٦٤١)، والبيهقي في شرح السنة (٤٧٣/٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص به.

(٨) فتح الباري (٢٧/١).

صاحبه بالوبال والنكال، والعمل المبارك هو ما قام به المتدينون وحافظوا عليه ودافعوا عنه وداموا في فعله، وما انقطعوا عنه لأي شغل مهما كان.

وقد قال رسول الله ﷺ: "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم. فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم"^(١).

وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: قال لي النبي ﷺ: "ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار" قلت: إني أفعل ذلك. قال: "فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك وتفهت نفسك، وإن لنفسك حقا ولأهلك حقا فصم وأفطر وقم ونم".

قال ﷺ: "لكل عمل شرة ولكل شرة فترة"^(٢) فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك"^(٣).

والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

قال ابن المنير (رحمه الله): (في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع. وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور الحمودة بل منع الإفراط المؤدي إلى الملal)^(٤).

ومن الغلو التكلف فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ليلا فمروا على رجل جالس عند مقراءة له فقال عمر ؓ أولغت السباع عليك الليلة في مقراتك. فقال له ﷺ: "يا صاحب المقراءة لا تحبره هذا متكلف لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي من شراب وطهور"^(٥).

فالتكلف في التدين هو غلو مذموم وسعي بالتدين إلى الابتداع والخروج عن الإطار الشرعي الذي حدده الله ورسوله وهو باعث إلى التمزق النفسي والتشتت الداخلي والصراع الذي ليس له حد معين ينتهي إليه والإنسان كان بمنأى عن هذا كله لو التزم بالتدين الحقيقي القائم على القواعد والأسس الشرعية، كما أن الغلو يؤدي على تحريم الطيبات قال الله ﷻ:

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب: في الحسد (٢٧٦/٤) حديث (٤٩٠٤) بقصة في أوله، وزيادة في آخره. قلت: إسناده فيه: سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء ذكره ابن حبان في الثقات (٣٦٥/٦) حديث (٣٦٩٤)، ورواه أبو يعلى في مسنده (٣٦٥/٦) وذكره الهيثمي في المجمع في كتاب الحدود والديات، باب زنا الجوارح (٣٩٠/٦) حديث (١٠٥٤٦) وعزاه لأي يعلى وقال: رجاله رجال الصحيح غير سعيد وهو ثقة. أهـ فيحتمل التحسين والله أعلم.

(٢) فترة: سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات. النهاية (فتر).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٠، ١٨٨/٢)، وابن حبان، ص (١١)، وابن أبي عاصم في السنة، ص (٥١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨٨/٢).

(٤) فتح الباري (١١٧/١).

(٥) أخرجه الدارقطني (٢٦/١) رقم (٣٠).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ^(١).

وقد روت عائشة رضي الله عنها أن ناسا من أصحاب النبي ٣ سألوا عن أزواج النبي ٣ عن عمله في السر فقال بعضهم: لا آكل اللحم وقال بعضهم: لا أتزوج النساء وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فبلغ ذلك النبي ٣ فقال: "ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني" ^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (من حرم الطيبات وامتنع من أكلها بدون سبب شرعي فهو مذموم مبتدع) ^(٣).

قال القرطبي (رحمه الله): (فإذا كان كذلك تبين خطأ من آثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان إذا قدر على لباس ذلك من حله. وآثر أكل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره حذرا من عارض الحاجة إلى النساء...) ^(٤).

قال الطبري (رحمه الله): (ولا شيء أضر للجسم من المطاعم الرديئة؛ لأنها مفسدة لعقله ومضعفة لأدواته التي جعلها الله سببا إلى طاعته) ^(٥).

وقد جاء رجل إلى الحسن البصري فقال: إن لي جارا لا يأكل الفالوذج فقال: ولم؟ قال: يقول لا يؤدي شكره. فقال الحسن: أفيشرب الماء البارد؟ فقال: نعم. فقال: إن جارك جاهل. إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذج ^(٦).

وقال ٣: "الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر" ^(٧).

وقال أيضا ٣: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها" ^(٨).

وقال الله U (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا

(١) سورة المائدة الآية ٨٧.

(٢) أخرجه البخاري (٥/٩) كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم (١٠٢٠/٢)، كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح (١٤٠١/٥).

(٣) فتاوى (٢١٢/٢٣).

(٤) تفسير القرطبي (٢٦٢/٦).

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٦٩/٧)، وتفسير القرطبي (٢٦٢/٦)، وفتح القدير للشوكاني (٧٠/٢).

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي (١٠٢/٤)، والكشاف (٧٠٥/١)، تفسير القرطبي (٢٦٢/٦).

(٧) أخرجه الترمذي في السنن برقم (٢٤٨٦) وأبو يعلى في المسند برقم (٦٥٨٢).

(٨) أخرجه مسلم (٢٠٩٥/٤) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (٢٧٣٤-٨٩).

يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) (١).

قال ابن الجوزي (رحمه الله): (ينقلون عن بعض الصوفية أنه قال: سرت إلى مكة على طريق التوكل حافيا فكانت الشوكة تدخل في رجلي فأحكها بالأرض ولا أرفعها وكان علي مسح فكانت عيني إذا آلتني أدلكها بالمسح فذهبت إحدى عيني.. ولعمري إن هذا من أعظم الذنوب وأقبح العيوب) (٢).

قال أيضاً (رحمه الله): يقول آخر منهم: (منذ خمسين سنة أشتهي الشواء ما صفا لي درهمه. ويقول آخر: أشتهي أن أغمس جزرة في دبس فما صح لي. وهذا بشر الحافي يقول: لا أحدث لأني أشتهي أن أحدث. وبعضهم يقول: منذ ثمانين سنة ما اضجعت. ويقول آخر: حلفت لا أشرب الماء سنة) (٣).

قال القرطبي (رحمه الله): (أين هذا ممن يرغب عنه ويؤثر لباس الحشن من الكتان والصوف من الثياب. ويقول: ولباس التقوى ذلك خير هيهات. أترى من ذكرنا تركوا لباس التقوى؟ لا والله بل هم أهل التقوى وأولو المعرفة والنهي وغيرهم أهل دعوى وقلوبهم خالية من التقوى) (٤). ومن جملة الأحاديث العظيمة السابقة يتبين لنا أن الغلو في الدين ممقوت؛ لأنه بدعة محدثة، بعد به عن منهج الله وهدى رسول الله ﷺ، وعليه فإن الغلو في المطعم والمشرب عن طريق ما يسمى بالتقشف والشطن في العيش باطل، وإثم عظيم لتحريم ما أحله الله ﷻ، وحسبك ما ورد من هذه الأحاديث عن النبي ﷺ التي يؤكد فيها أنه ما بعث إلا ميسرا، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ومن رغب وأعرض عن سنته فليس من هدى النبي ﷺ في شيء.

وكما نهي الإسلام عن الغلو نهي أيضا عن التعصب والتعصب قد يكون للآراء أو الأفكار أو المناهج: والله ﷻ ذكر البيان الفاصل في ذلك في قول الله ﷻ:

(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (٥)، وقال الله ﷻ (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (٥٠) (٦).

(١) سورة الأعراف الآية ٣٢.

(٢) صيد الخاطر، ص (٢٩).

(٣) صيد الخاطر، ص (٤٧٢).

(٤) القرطبي (٢٦٣٣/٤).

(٥) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٦) سورة المائدة، الآية ٥٠.

ولا يسمى حكم الله U حتى يكون خالصا كلية من الأهواء فإذا شابه أي قدر مهما صغر من التعصب للأهواء لم يعد يقال حكم الله U ولكنه يصير حكم الجاهلية.

والتعصب دليل على عدم إخلاص العبادة لله حيث يقول الله U (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠)))^(١) فإن العبادة هي امتثال أوامر الله U المنفرد بالأمر والحكم وحده، وتحقيق العبادة في تحقيق موافقة أمر الله U واتباع سنة رسوله ﷺ، وهذا لا يتحقق إلا بتجريد دين الله U من الاصطباغ بصبغة أي بشر، فحيث وجد الحق الذي يشهد له الوحي الثابت من الكتاب والسنة التزم به المؤمن الصادق الإيمان واغبط به ودار معه، ولا يجد في نفسه ذرة من الاختيار مع الله U، أو التردد في قبول أمره، أو التلكؤ في تنفيذه، وليس التعصب لقول أحد أو فكر أحد أو منهج طائفة أو غير ذلك.

كما أن التعصب للأشخاص قد يؤدي إلى الغلو وهو حتما يفضي إلى الشرك، كما صنع أهل الكتاب بأخبارهم ورهبانهم فاتخذوهم أربابا من دون الله يحلون لهم ويحرمون عليهم. والتعصب بلا شك دعوى جاهلية، ولذا بين الرسول ﷺ أن التعصب لا يكون من مؤمن خلص إيمانه لله U.

عن جندب بن عبد الله البجلي t قال: قال رسول الله ﷺ: "من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتله جاهلية"^(٢).

وعن جبير بن مطعم t أن رسول الله ﷺ قال "ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية"^(٣).

سمى النبي ﷺ الميتة والقتلة: ميتة جاهلية وقتلة جاهلية على وجه الدم ونهى عنه، وهكذا قد تقرر أن ما أضيف إلى الجاهلية من ميتة وقتلة ونحو ذلك فهو مذموم عنه، ولذا يقتضي ذم كل ما كان من أمور الجاهلية.

عن جابر t قال: اقتتل غلامان: غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون يا للمهاجرين ونادى الأنصاري يا للأنصار فخرج رسول الله ﷺ "فقال ما هذا؟ دعوى

(١) سورة يوسف، الآية ٤٠.

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه أبو داود حديث (٥١١٩)، وأخرج الحديث ابن ماجة من رواية فُسَيْلَةَ قالت: "سمعت أبي يقول: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ قال: لا، ولكن من العصبية أن يُعين الرجل قومه على الظلم"، أخرجه في السنن (١٣٠٢/٢) كتاب الفتن، باب: العصبية (٣٩٤٩)، وظاهر إسناده الروايتين مختلف، لكنه في الحقيقة واحد، وقد بين ذلك ابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث (٣١٣/٢)، في كتاب الأدب (٢٤٥٣)، والمزي في تحفة الأشراف (٨٢/٩)، وذكر ابن فُسَيْلَةَ هي بنت وائلة بن الأسقع ويقال لها أيضا حصيلة، وكذلك قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (١٧/٨، ١٨).

أهل الجاهلية". قالوا: لا، يا رسول الله، إلا أن غلامين اقتتلا فسكع أحدهما الآخر، قال: "فلا بأس، ولنصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينبهه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينبصره"^(١).

فهذان الاسمان: (المهاجرون) و(الأنصار) اسمان شرعيان، جاء بهما الكتاب والسنة، وسماهما الله U بهما كما سمانا المسلمين من قبل، وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند الرسول ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو الحرام كالانتساب إلى ما يفضى إلى بدعة أو معصية أخرى^(٢).

ثم مع هذا لما دعا كل واحد منهما طائفته منتصراً بها أنكر النبي r ذلك وسماها دعوى جاهلية حتى قيل له: إن الداعي بها إنما هما غلامان، لم يصدر ذلك عن جماعة. فأمر بمنع الظالم، وإعانة المظلوم ليعين r أن الخذور من ذلك إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقاً فعل أهل الجاهلية. فأما نصرها بالحق من غير عدوان: فحسن وواجب، أو مستحب.

وعن سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي t قال: خطبنا رسول الله r فقال: "خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يآثم"^(٣).

عن عبد الله بن مسعود t قال: (من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي فهو ينزع بذنبه)^(٤).

لقد حدد الرسول r معنى التعصب والعصية بالظلم لأنه تعام عن الحق واتباع الهوى، والإسلام دين الاعتدال فليس من العدل أن يرى الإنسان قومه يقع عليهم ظلم ولا ينصرهم إنما هذا يصادم الفطرة التي فطر الله U عليها الإنسان، ويقتل الشهامة والكرامة فيه، ولذا قال الرسول r: "خيركم المدافع عن عشيرته" ثم حدد r الاعتدال فقال: "مالم يآثم" أي: مالم يتعدى من أتباع الحق إلى أتباع الهوى أي التعصب الذي يدفعه إلى الظلم، ولذلك ضرب النبي r لذلك مثلاً بالبعير الذي سقط في بئر فهل يجوز في العقل أن يحمل البعير من ذيله الضعيف ويرفع من البئر وهذا مثال يصور للمتعصب حقيقة تعصبه أنه مندفع إلى طريق الهلاك المحقق الذي يصعب

(١) أخرجه مسلم (١٩٩٨/٤) كتاب البر والصلة، باب: نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (٦٢-٢٥٨٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م مطبعة السنة المحمدية، ص (٦٦١، ٧٢٨)، والحديث: أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً (١٩٩٨/٤) حديث (٢٥٨٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٣٢/٤) كتاب الأدب، باب: في العصية (٥١٢٠) وفي إسناده أيوب بن سويد قال ابن حبان: رديء الحفظ، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الحافظ في التقریب: صدوق يُخطئ التقریب (٩٠/١-الخلاصة ١١١/١).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١١٧)، قال الألباني: صحيح.

الخلاص منه كما يستحيل خلاص البعير برفعه من البئر من ذيله الضعيف، ولعل في هذا المثال خير بيان وكمال لصورة الإسلام الناصعة، وبيان لمن أراد أن يتهم الإسلام بالتعصب أنه يريد أن يقتسم صورة الإسلام بسواد التعصب وظلامه، وهو تحذير أيضا لأبناء الإسلام الذين يتصدون للدعوة إليه، فالتعصب يشوه صورة الإسلام الناصعة ويقتسم لونها بظلامه، بل وفيه إنذار أن أي تعصب مهما قل في صغره فمصيره مصير هذا البعير.

قال مصطفى السباعي في حسن البناء: (فما هو إلا النور المرسل من السماء ليكشف عن أهل الخلود ظلماتهم، ثم يظل في السماء دائما وأبدا، ولن يختلط بتراب الأرض إلا كما تقع أشعة الشمس على أعلى القصور وأدناها)^(١).

وصدق الشيخ أحمد النجمي إذ يقول فيهم: (فمن كان معهم رفعوه إلى عنان السماء ومن كان مخالفا لهم رموه بكل فاقة ولم يرقبوا فيه إلا ولا ذمة)^(٢).

المطلب الثاني: غلو الإخوان في مفكريهم وتعصبهم لهم:-

من جوانب اعتقاد الإخوان المسلمين اتخاذهم فكر أنتمهم معيارا يحتكمون إليه فيما بينهم، ولا يرضون لأحد سواهم الخروج على معيار هذا الفكر أو مخالفته، فهم يعدون الأستاذ حسن البناء مؤسس الجماعة وفكره المعيار الذي تقاس به الجماعات الإسلامية، لترى وزنها وحجمها، ولهذا الاعتقاد في معيار الفكر صور منها^(٣):

الصورة الأولى: أنهم يعدون البناء الوحيد من بين خلق الله الذي وضع شروطا وأساسا لجماعة إسلامية لتسير عليها؛ ولكي تحقق أي جماعة أهدافها يجب أن تعمل على جميع المستويات من صياغة للمسلم إلى إقامة الدولة الإسلامية على أسس سليمة وثابتة، وذلك في كل قطر، ثم الوصول إلى الدولة الإسلامية العالمية أو الخلافة الإسلامية^(٤).

الصورة الثانية: أنهم يزعمون أن حسن البناء هو أول من وضع قدم المسلمين على الطريق الصحيح، وأن هذا لا يقبل جدالا ولا مناقشة عند المنصفين، إذ إنه - أي البناء - حرر الإسلام من الوهن الذي أصابه، وليس هناك إمام تتوفر فيه خصائص الإسلام كما في حسن البناء^(٥).

قال عمر التلمساني: (وظل العمل الإسلامي مفتقرا إلى من يحدد الأهداف العليا التي ينبغي على المسلمين أن يعملوا من أجلها، ويحدد مراحل العمل الإسلامي لتحقيق هذه الأهداف العليا،

(١) ينظر: حسن البناء بأقلام تلامذته ومعاصريه، ص (١٨).

(٢) الفتاوى الجلية، ص (٧٨).

(٣) ينظر: في آفاق التعليم، ص (١٥)، ومن أجل خطوة إلى الأمام، ص (٣٦، ٣٧).

(٤) ينظر: من أجل خطوة إلى الأمام، ص (٣٧).

(٥) ينظر "يا أيها العالم هذا هو حسن البناء" لعمر التلمساني (كلمة الرسالة حسن البناء نسر يخفق بجناحية في سماء الناس).

ويخطط بعمله وجهاده وبذله وعطائه سبيل الوصول للهدف المأمول.

شاء الله تعالى لأمة الإسلام أن تنهض من كبوتها وتصحو من غفوتها وتقوم من عثرتها وتستعيد وعيها وتدب فيها روح العمل والنشاط لنصرة دين الله والتمكين له من جديد حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله رب العالمين.. شاء الله تعالى أن يثبت في الأمة روحا جديدة. فكان حسن البناء واضع نظريات العمل الإسلامي المتكامل الشامل في العصر الحديث، وكانت عبقرية البناء والتأسيس من أجل نهضة الأمة والتمكين للدين ورفع شأنه وجمع الأمة تحت رايته وتحويل العمل للإسلام من ميدان القول إلى ميدان العمل وتقديم التجارب الناجحة والنماذج العملية التي تؤكد جدارة المشروع الإسلامي الحضاري^(١)

الصورة الثالثة: يزعمون أن فكر البناء ليس للمسلمين إذا أرادوا النصر فكر سواه، وأن البعد عنه تقصير وتفريط في نصره الإسلام، وأنه لا فلاح للمسلمين إلا بفكر البناء، ولا جماعة كاملة إلا بفكره^(٢).

الصورة الرابعة: يدعي الإخوان أن الهجوم على فكر البناء وانتقاده مرض في قلوب منتقديه؛ إذ لا تتوافر في إنسان معاصر مجموعة الصفات التي تحققت في البناء، وهو وحده الموكول إليه طرح نظريات العمل الإسلامي المعاصر.

الصورة الخامسة: يدعون أن البيت المسلم الملتزم بتعاليم الإخوان المسلمين ومبادئهم هو الذي وصل إلى درجة الكمال، ففي مبادئهم الكمال الإسلامي المعاصر، كما أنهم أوجبوا على المسلمين العمل تحت رايته، وأنه يجب على كل مسلم الانضواء تحت لوائها والانضمام إلى صفوفها، وعقد البيعة لحسن البناء أو خليفته، وأنه ينبغي أن يضع المسلم يده في يدها.

إننا نتساءل لماذا يزعم الإخوان أن فكر رجالهم وأئمتهم هو المعيار الذي يحتكم إليه، ولا يجيزون لغيرهم الخروج عليه أو مخالفته؟ هل جاء الإخوان بدين جديد غير دين الإسلام؟ إنه بلا شك وهم كاذب قد ادعاه الإخوان، إذ يفترى هؤلاء أن فكرهم هو المعيار الوحيد الذي يقاس عليه، ولا يجوز لأحد مخالفته، بل في الحديث عن حسن البناء مبالغة حتى ليكاد يصل

(١) السابق ص (٣٩).

(٢) ينظر إلى ما قاله حسين التلاوي بمناسبة ذكرى وفاة الإمام بموقع <http://www.ikhwanonline.com>، (انسم تيار الثقافة العام في الربع الأول من القرن العشرين بالحمود والانغلاقية وهو ما وضع في عدم بروز المدارس الفقهية والفكرية القادرة على التجديد في الفكر الإسلامي؛ وذلك على الرغم من النشاط الذي قام به الإمام محمد عبده حيث لاقى فكره الإصلاحي اجتماعيا وسياسيا هجوما كبيرا من ذوى الاتجاه الإسلامي في عصره؛ الأمر الذي أدى إلى انتهاء التيار الإصلاحي الذي حاول الإمام محمد عبده أن يؤسسه بوفاة الإمام نفسه في العام ١٩٠٥م، لذا جاء فكر الإمام الشهيد حسن البناء بمثابة "المنقذ" للفكر الإسلامي في هذا الوقت.

الحديث عنه إلى أنه منزّه عن الأخطاء والنقائص إلا أنه غير معصوم، فالعصمة ليست إلا للأنبياء، وقد انتهت العصمة بموت النبي ٣.

بل كيف يزعمون أن في مبادئهم كمال الالتزام في البيت المسلم المعاصر؟ فهم يدعون الكمال حيث لا كمال إلا لله U المنزه عن كل نقص وعيب. كيف ذلك وهي دعوى صوفية، حشافية، سياسية، فكرية، قتم بالمظهر ولو على حساب المخبر، وتجمع في صفوفها من هب ودب فينتهي إليها السني، والصوفي، والرافضي بدعوى تتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.

لقد غالى الإخوان في مفكريهم وتعصبوا لكتبهم، وخاصة القادة منهم، ومنظري الجماعة^(١)، ومن صور تعصبهم لمفكري الجماعة وكتبهم، أنهم يفرضون على الأعضاء المنضمين إلى الجماعة دراسة كتب الإخوان، ويشترطون عليهم أن تكون هذه الكتب منهجا في جلساتهم، على الرغم من أن تلك الكتب بما سقطات مخالفة للعقيدة، وتلك المخالفات لا يدركها إلا عالم ذو بصيرة، فإذا كانت تلك المخالفات لا يعرفها ولا يدركها إلا العالم البصير ببواطن الأمور وظواهرها فكيف يكون الحال لدى الغر الصغير؟ ومن كتبهم هذه (في ظلال القرآن) لسيد قطب، وكتاب (الأصول العشرين) والدعوة والداعية وغير ذلك لحسن البنا وشروحاتها^(٢).

فإذا عهد إلى أحدهم أن يشتري كتابا علمية يستفاد منها تراه لا يأتي إلا بما كتبه الإخوان، وكأنه لا يقنع إلا بكتبهم وأفكارهم، ولا يرضى بما بديلا؛ فلا نكاد نجد في مكتباتهم الخاصة كتابا لأئمة دعوة التوحيد من أهل السنة والجماعة، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب (الأصول الثلاثة)؛ والشيخ الألباني، والشيخ عبد العزيز بن باز وغيرهم؛ ثم نجدهم يقررون في جلساتهم كتابا مؤلفة للإخوان؛ وذلك ليغرسوا في قلوبهم محبة المنهج الإخواني، ومحبة قادته ومفكريه، وأيضا فإنهم يغرسون لدى أتباعهم ومريديهم حب كتب الإخوان، فلا يقرأ كتابا سواها، وقد ظهر بعض المسلمين الذين أفتوا بأن الكلام في الشرك، والتحذير من البدع يعمل على تفريق الأمة وتشتيته؛ وذلك لأنهم نجحوا في غسل عقول تابعيهم، وجعلها خاضعة لهم، فلا يهتمون بكتب السلفية أو أهل السنة والجماعة.

المطلب الثالث: تعصب الإخوان لكتبهم:-

لا شك أن جماعة الإخوان المسلمين لها أثر فكري على الشباب، ولا يخفى على كل ذي عينين له معرفة بفكر الجماعة، أنهم بثوا هذا الفكر في كتبهم، وخاصة كتب مؤسس الجماعة

(١) ينظر: النصيحة والبيان لما عليه حزب الإخوان، يحيى بن علي الجهوري، ص (١١١).

(٢) جمع الشتات فيما كتب عن الإخوان من ملاحظات، ص (٥٢).

حسن البنا ومؤلفاته التي تتلمذ عليها جل الإخوان، وقد غالى الإخوان في اهتمامهم بكتب قادة الإخوان وتعصبوا لها أيما تعصب، وعلى سبيل المثال نجدهم قد تأثروا بكتب حسن البنا في كتابه (مذكرات الدعوة والداعية)، وكتاب (الأصول العشرين) وغيرهما، إذ وجدوا فيها مبادئ الجماعة وشروط البيعة وتعاليم الجماعة، وكذلك اهتموا بكتب منظري الإخوان، وخاصة (سعيد حوى) وهو من كبار منظري الإخوان المسلمين وخاصة كتابيه (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) و(جولات في الفقهاء) ففيهما يبين سعيد حوى اعتقادات الإخوان المسلمين، ويبحث الإخوان المسلمين على التزام منهج اثنين من أئمة الاعتقاد والفقهاء هما أبو الحسن الأشعري، وأبو منصور الماتريدي، ويقول في كتابه (جولات في الفقهاء) الجولة الرابعة ما نصه: (وسلمت الأمة في قضايا العقائد لاثنتين أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي)^(١). فكيف سلمت الأمة لها في قضايا العقائد لهما وهما مخالفان في اعتقادهما لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله؟. بل في فكر بعض قادتهم وكتب منظريهم ما يتفق مع فكر الصوفية الذي يخالطه الشرك والوثنية، معتقدين أن هذا هو الفكر السلفي الصحيح.

المطلب الرابع: التعصب المذهبي عند الإخوان:-

في الوقت الذي نجح فيه علماء الإسلام السلفيون إلى حد كبير في رد الأمة إلى معيها الصافي: الكتاب والسنة وكذلك حققوا نجاحا كبيرا في التضييق على أهل التعصب المذهبي والجمود الفقهي، حتى غدا هؤلاء الجامدون لا قيمة لهم عند الشباب الإسلامي بل إن شباب المسلمين اليوم لا يقبلون إلا مذهب الكتاب والسنة، ومع ذلك فقد نراهم يدعون إلى بدعة التعصب الأعمى ويضيقون واسعا.

قال سعيد حوى: (ولذلك قالوا: ولقد سلمت الأمة خلال عصورها للكثيرين بأنهم وصلوا إلى مرتبة الاجتهاد، وخص منهم بالاعتماد أربعة: أبو حنيفة والشافعي وأحمد ومالك في قضايا الفقه العلمي)^(٢).

وعليه فالثقة منزوعة عن غيرهم، إنه لا اطمئنان في شأن الفتوى إلا على مذهب من المذاهب الأربعة؛ لأن قواعدها وأصولها وفروعها كلها محفوظة منقولة^(٣).

لأن الوصول إلى مرتبة الاجتهاد أمر صعب، بل هو أندر من الكبريت الأحمر، ومن الصعب أن يكون الإنسان مجتهدا؛ لكثرة الشروط التي يجب أن تتوافر في المجتهد، فلم يبق أمام أكثر الخلق

(١) ينظر: جولات في الفقهاء الكبير والأكبر، ص (٦٦).

(٢) السابق.

(٣) السابق، ص (٧٠).

إلا أن يتفقهوا على مذهب إمام مجتهد، وأن يستفتوه في المسائل والحوادث، وذلك واجب شرعي؛ كيلا يسير الإنسان على غير بصيرة، وهذا الذي جعل الأمة تستقر على المذهبية الفقهية^(١).

لذلك يجب على كل إخواني أن يلتزم مذهباً فقهياً يختاره هو، (إننا نعطي الأخ حرية الالتزام بالمذهب الفقهي الذي يريده، ولكننا نطالبه أن يتفقه فيه)^(٢).

القول بوجود التمذهب بأحد المذاهب الأربعة مبني على إغلاق باب الاجتهاد، وهذا مما لا دليل عليه؛ لأنه باب فتحه الله، فلا يجوز إغلاقه إلا بنص شرعي من الكتاب والسنة، وهيهات أن يجد مغلقو باب الاجتهاد ما يقوي حجتهم ويدعم رأيهم؛ بل النصوص الصحيحة تؤكد استمرار الاجتهاد إلى يوم القيامة؛ كما قال ٣: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)^(٣).

ومن هنا يصير التعصب المذهبي وما ينتج عنه من التفرق والتحزب معول هدم، يزلزل كيان الدولة الإسلامية، والتاريخ خير شاهد على ذلك؛ حيث كان التعصب الفكري من أهم الأسباب والبواعث التي أدت إلى الفتات والحروب على عثمان بن عفان ؓ ومن ثم بدأت عوامل الفرقة وفصم عرى الوحدة الإسلامية من خلال الفتنة الأولى أو الكبرى التي انتهت باستشهاد عثمان بن عفان ؓ ثم الفتنة الثانية التي انتهت بقتل الحسين بن علي وآل بيته ﷺ في كربلاء.

وفي وسط ما شاع من الاختلاف بين أهل السنة والروافض، وتشعب الآراء، وتعدد الفرق، وانقسام المسلمين إلى دويلات-انقض المغول على الخلافة العباسية في بغداد، فأزالوا معالمها وقوضوا أركانها، وكذلك طرد المسلمون من الأندلس ومن سائر أوروبا؛ بسبب تفرق المسلمين وانقسامهم، مما أدى إلى ضعفهم أمام العدو، إلى حد أن طلبوا النصرة - بل الحماية - من العدو المشترك أيام ملوك الطوائف في بلاد الأندلس.

(١) المرجع السابق، ص (٧١).

(٢) المرجع السابق نفسه، ص (٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٢/٢) في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، برقم (٤٢٩١)، والحاكم (٥٢٢/٤)، والخطيب، في تاريخه (٦١/٢) من طرق عن ابن وهب: أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد المعافري عن أبي علقمة عن أبي هريرة به، وسكت عنه الحاكم والذهبي، ووقع عند الحاكم: شرحبيل بدل شراحيل، والحديث إسناده صحيح؛ رجاله ثقات، وذكره السيوطي في الجامع الصغير: (١٨٤٥)، وأشار إلى صحته، ونقل المناوي، في فيض القدير: ٢٨٢/٢ عن الزين العراقي وغيره قال سنده صحيح، وأقرهم الألباني في السلسلة الصحيحة: (٥٩٩) وقال: ولا يعلل الحديث قول أبي داود عقبه: رواه عبد الرحمن بن شريح الإسكندراني لم يجر به شراحيل، وذلك لأن سعيد بن أبي أيوب ثقة ثبت؛ كما في التقريب (ت: ٢٢٧٤)، وقد وصله وأسنده؛ فهي زيادة من ثقة يجب قبولها.

المبحث الثالث: السرية:-

المطلب الأول: السرية في السياسة الشرعية والفرق بينها وبين سرية الإخوان:-

بدأ رسول الله ﷺ يدعو إلى الله ﷻ سرا في أول الأمر، بعد نزول آيات سورة المدثر، فكان تركيزه على اختيار النوعية في بناء النواة الأولى، ويستدعي ذلك تعميق البحث وتكثيف الجهود لضمان انطلاقة سليمة موفقة للدعوة، من خلال إيجاد حلول لبعض الأسئلة المهمة المطروحة:

- من هم الأشخاص المؤهلون الذين ينبغي التركيز عليهم في بداية الأمر؟
- كيف تتم مواجهتهم بقضية الدعوة؟
- كيف يتم أمر متابعتهم وتكوينهم؟
- كيف يتم التوفيق بين ممارسة بعض شعائر دينهم والحرص على عدم الاصطدام بالمجتمع؟
- كيف يمكن لهذه الطليعة المؤمنة أن تنخرط في ممارسة وظائف الدعوة دون الإضرار بمسيرة العمل وبنفسها، كرصيد للدعوة ينبغي حمايته والحفاظة عليه حتى تتجذر الدعوة في المجتمع ويشتد ساقها؟^(١).

ولا شك أن المتابع لسير الدعوة - وللكيفيات التي واجه بها النبي ﷺ الواقع، وحرك بواسطتها الأحداث من حوله - يلاحظ أن خطواته كانت مضبوطة، ومنسقة ومدروسة، لا مكان فيها للعفوية والارتجال وسوء التقدير، لأنها تصدر عن خطة عمل محدودة الأهداف والوسائل الإجرائية، على ضوء إحاطته التامة بالواقع، وتقديره لموقف البيئة المحيطة بالدعوة.

فقد كان ﷺ على علم بطبيعة البيئة القبلية المعقدة، القائمة على الصراع بين الأسر والزعامات، بحيث يصعب على الناس وخاصة أهل النفوذ والوجاهة هضم أمر الانقياد لمن هو دونهم في المكانة الاجتماعية والسن، وهو ما سجله القرآن الكريم في قول الله ﷻ (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١))^(٢).

فالصدارة الاجتماعية من المنظور الجاهلي، ينبغي أن تكون لأهل الجاه والشراء، لا للمستضعفين من الناس وصغارهم، وهو ما كان رسول الله ﷺ على وعي به وبمخاطره، وأخذه في الحسبان في خطة عمله حتى لا يثير ضده (الملا) الجاهلي في بداية أمر الدعوة^(٣).

علاوة على أن طبيعة الدعوة الإسلامية المناقضة بصفة كلية لما كانت عليه الحياة الجاهلية في جميع

(١) ينظر: منهج النبي في حماية الدعوة، د: الطيب برغوث، طبعة المعهد العالمي للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -

١٩٩٨م، ص (٢٨٤) بتصرف.

(٢) سورة الزخرف الآية (٣١).

(٣) ينظر: منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة، د: الطيب برغوث، ص (٢٨٨).

الجلالات، تجعل مفاجأة الرأي العام بما منذ البداية يشكل رهانا في غاية الخطورة، لأنه يحفز المجتمع ويهيئه للدفاع عن كيانه ووجوده، والنزوع إلى تيار مواجهة الدعوة ومحاولة القضاء عليها^(١).

كل هذه الاعتبارات وعها النبي ﷺ في بداية الدعوة إلى الله ﷻ، فاتجه إلى البحث عن نماذج يكون فيها قابلية الانضباط والاستعداد للتضحية والعطاء المثمر، وتكون مؤهلة لحسن اختيار العناصر التي تضع اللبنة والمرتكزات الأولى للدعوة، لبناء قاعدة الدين الإسلامي.

ولهذا كان أول إجراء حكيم قام به النبي ﷺ لضمان بداية سليمة وموفقة للدعوة، هو اعتماد أسلوب الاتصال الفردي الانتقائي القائم على المعرفة الشخصية لقابليات الأفراد من جهة، ومدى استعدادهم للتجاوب مع الدعوة والانخراط في موكبها من جهة أخرى، حتى لا يتسرب إليها من ليس في مستواها من أصحاب الآفاق المحدودة والعقليات الضيقة، ممن لا يصلحون طليعة قيادية يؤسس عليها صرح الدعوة الإسلامية^(٢).

وقد بدأ رسول الله ﷺ يدعو الخواص من أهل بيته ممن يستجيبون لدعوته دون تردد. قال ابن هشام (رحمه الله) في سيرته: (وجعل رسول الله ﷺ يذكر جميع ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله)^(٣).

فكان أول من آمن بالنبي ﷺ - من النساء - زوجته خديجة رضي الله عنها، ثم أسلم علي بن أبي طالب t، وزيد بن حارثة t، حب رسول الله ﷺ ومولاه ومتبناه. وكذلك سارع إلى الإسلام بنات رسول الله ﷺ كل من: زينب، وأم كلثوم، وفاطمة، ورقية؛ وبذلك أصبح بيت النبي ﷺ أول بيت مؤمن بالله ﷻ، منقاد لشرعه في الإسلام، لأنه:

- أول بيت تلي فيه الوحي بعد الغار.
- أول بيت ضم المؤمنة الأولى، سابقة السبق في الإسلام.
- أول بيت أقيمت فيه الصلاة.
- أول بيت تعهد بالنصرة، ولم يتقاعس فيه فرد من أفراد كبارا أو صغارا عن مساندة الدعوة الإسلامية^(٤).

(١) المصدر السابق ص (٢٨٩) بتصرف.

(٢) المصدر السابق ص (٢٩٠) بتصرف.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/١٧٦).

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/١٧٨، ١٧٩)، السيرة الحلبية، للإمام الحلبي (١/٤٢٤)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، للحافظ أبي الفتح محمد ابن محمد بن محمد بن سيد الناس، ط مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م (١/١١٥)، السير والمغازي، ل محمد بن إسحاق الملقبي، تحقيق د. سهيل زكار، ط دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، ص (١٣٦، ١٣٧)، السيرة النبوية، للحافظ ابن كثير، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد ط عيسى الحلبي ١٣٨٤هـ - (١/٤٢٤-٤٢٨)، تاريخ الأمم والملوك، للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط مؤسسة الأعلمي =

ولقد كانت الدعوة السرية مرحلة تنظيمية تقتضيها حكمة التدبير في تبليغ الرسالة نظراً لعدة اعتبارات منها:

١ - التريث ريثما تتكون لبنات قوية المزج، شديدة التماسك في جو بعيد عن إثارة المعوقات في طريق سير الدعوة، لأن هذه اللبنة هي القوة الدافعة التي سيعتمد عليها بناء المجتمع الإيماني الجديد في القضاء على الظلم والبغي الذي ساد قبل هذا الدين، في صبر لا يعرف الوهن، وجهاد لا يعرف اليأس.

٢ - نهج المسالمة المؤقتة في البداية، لأن مهاجمة هذا المجتمع الغارق في شروره - ومواجهته بضلاله وساق الدعوة لم يستو بعد، يؤذن بتحريك دوافع المقاومة للدعوة في نفوس المستكبرين، والدعوة لا تزال في أول خطواتها، فتتعر في سيرها، وهي لا تزال وليدة طرية.

قال الأستاذ محمد صادق عرجون: (لذلك أثر النبي ﷺ السرية في دعوته، وتبليغ رسالته حرصاً منه على أن يكون سيرها مطرداً وثباتاً هادئاً، تسير إلى القلوب بخطى ثابتة، حتى تتمكن من الإعلان عن نفسها في الوقت المناسب، بعد أن يؤمن بها عدد من الناس يضحون في سبيلها بالغالي والنفيس، مما يضمن استمرارها وبقائها)^(١).

٣ - إتاحة الفرصة للدعوة حتى تصل إلى مسامع العرب في مواسمهم ومحافلهم وأسواقهم، ومضارب منازلهم، فأدت هذه الخطوة أكلها، حيث أقبل إلى مكة فريق منهم يتحسس أخبارها، ويتعرف مكانها في خفية وحذر، حتى إذا بلغوا مأمنها في مقرها - دار الأرقم، أسلموا لله ﷻ، واتبعوا رسول الله ﷺ واهتدوا بهديه، وآمنوا بما جاء به من الحق^(٢).

٤ - المساهمة في تكوين قاعدة إيمانية صلبة، ومثالية في هدوء، وأناة لتقوم بدورها في تبليغ الدعوة، ولتقدم أسوة راقية لمن بعدهم في الخلق والسلوك وأداء الواجب.

٥ - اقتداء الدعاة برسول الله ﷺ في تبليغ دعوتهم وأخذهم للحيلة والحذر، إذا كان الجهر أو الإعلان يند الدعوة في مهدها، وهو منهج معروف في سير الدعوات السابقة وأسلوب سلكه رسل الله (عليهم الصلاة والسلام)، الذين أمر بالاقتراء بهم رسول الله ﷺ في قول الله ﷻ (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)^(٣).

= للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة = ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، (٣٠٧/، ٣١٣)، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د/

محمد محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م (٢٨٤/١)، دراسة تحليلية لشخصية الرسول د/ محمد

رواس قلعي، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص (١٩١).

(١) ينظر: محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون (٦٠٥/١).

(٢) ينظر: منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة، د/ الطيب برغوث، ص (١٤٩).

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٠.

وقال الله U في شأن نوح U (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَرًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩))^(١)، مع اليقين بأن الجهر بالحق لا يعرف المهادنة أو التخاذل مهما وقع للدعاة من أذى في سبيل ذلك.

٦ - استخدام الدعاة الوسائل والأساليب المناسبة في تبليغ المدعو، وذلك عن طريق الاتصال الشخصي والمواجهة المباشرة، وهذه الوسيلة تحتاج إلى معرفة مسبقة بين الداعي والمدعو، ليتمكن الداعي من تخير الوقت المناسب، والحالة المناسبة، والأسلوب المناسب، كما يتمكن المدعو من السؤال والاعتراض، والرد بهدوء وتعقل.

وبمراجعة عدد المسلمين في المرحلة السرية، ومعرفة طرق إسلامهم يتضح اتصال رسول الله ﷺ بهم مباشرة على نحو ما سبق ذكره.

وأما أسلوب الدعوة فقد قام على عرض الأدلة الدقيقة المحكمة، على صورة سؤال، أو إجابة^(٢).

فالسرية في السياسة الشرعية بين أفراد المسلمين في الدول الإسلامية لا مجال لها الآن؛ إذ إنها تنطلق من المعيار الإسلامي الذي نص عليه الكتاب والسنة وعنه عبر القرآن في قول الله (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤))^(٣).

ويوضح القرآن الكريم مقالات المشركين في الرسول ﷺ بقوله U (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥))^(٤)، وقال الله U (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦))^(٥)، وقال الله U (لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣))^(٦)، وغير ذلك من الآيات.

ولما أنذر الرسول ﷺ قومه، وقال لهم: "إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، وقال له أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعنا؟! نزل القرآن الكريم بقول الله U (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)^(٧). ويبين القرآن الكريم أن الرسول ﷺ قال لهم: "لا أريد منكم مالا، ولا أسألكم عليه أجرا"

(١) سورة نوح الآيتان ٨، ٩.

(٢) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، د/أحمد أحمد غلوش، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م (٤٦٣/٢).

(٣) سورة الحجر الآية ٩٤.

(٤) سورة الأنعام: ٢٥.

(٥) سورة الحجر الآية (٦).

(٦) سورة المؤمنون الآية (٨٣).

(٧) سورة المسد: الآية (١).

فقال الله U (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ^(١) وقال الله U (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ^(٢)، وغير ذلك من الآيات التي جعلت الدعوة الإسلامية في ميزان الشريعة جهازاً نهاراً. فسياسة الإخوان السرية تختلف في الحقيقة عن السياسة الشرعية التي نزل بها الوحي المتمثل في القرآن والسنة وأنها ضرب من التنظيمات السرية لبعض المدارس الوضعية.

ولا شك أن سرية الإخوان تعد افتياتاً على ولي الأمر وبدورها تؤدي إلى العديد من الأضرار، وتفتويت الكثير من المصالح التي قد تحصل للأمة بطاعتها لأولي الأمر، والتفافها حولهم، والصدور عن آرائهم فيما يأمر، وما ينهون.

يمكن إبراز أهم أضرار سرية الدعوة فيما يلي:-

١ - عدم تحقيق الطمأنينة لأفراد الرعية:-

من أضرار السرية عدم تحقق الطمأنينة لأفراد الرعية، وكفالة الحرية لأهل الملل الأخرى في عقيدتهم؛ وذلك لأن طاعة ولي الأمر، وعدم الافتيات عليه هما أهم الضمانات لتحقيق الأمن والاستقرار الذي هو أحد الدعائم الأساسية التي لا تقوم الدولة إلا بها.

وإذا كان الاستقرار شرطاً أساسياً لقيام الدولة؛ فإنه لا يكون استقرار دون تحقق الأمن؛ وهو ما يعني: أنه لا دولة في الحقيقة بلا أمن؛ لأنه إذا غاب الأمن؛ غاب الاستقرار؛ بحيث يمكن القول بأن الأمن بمثابة الطعام للناس، فكما لا تصلح حياة الناس بدون طعام فإنها لا تصلح أيضاً بدون أمن، ومن ثم جمع الله U بين الإطعام من الجوع والأمن من الخوف؛ ليبين أن التأمين من الخوف لا يقل أهمية عن الإطعام من الجوع إن لم يتفوق عليه، وأنه إذا كانت الحياة لا تقوم بغير الطعام؛ فإنها لا تقوم بغير الأمن من باب أولى ^(٣)، فقال U مبينا نعمته على قريش (الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) ^(٤).

وقد علق ابن عباس (رضي الله عنهما) على دعوة إبراهيم U فيما نقله عنه الطبري رحمه الله في قول الله U (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) ^(٥)

(١) سورة سبأ الآية (٤٧).

(٢) سورة المؤمنون الآية (٧٢).

(٣) ينظر: المنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، يوسف إبراهيم، مطابع الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية ١٤٠١هـ، ص (١٦٤).

(٤) سورة قريش: الآية (٤).

(٥) سورة البقرة: الآية (١٢٦).

فقال: فقدم إبراهيم U في دعائه التأمين على الرزق من الثمرات (الإطعام)؛ ليؤكد أهمية نعمة الأمن في حياة الناس^(١).

فنعمة الأمن والأمان لا تكاد تعادلها نعمة أخرى، وهي نعمة لا تتحقق إلا بوجود سلطان مطاع، مهاب، لا يفتات عليه الناس، ولا يعصونه، ولا يخرجون عليه؛ ولهذا أكد النبي R علي أهمية السلطان في الأرض حين قال R "إذا مرت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها، إنما السلطان ظل الله في الأرض ورحمه في الأرض"^(٢).

قال المناوي (رحمه الله): (قد استوعب بهاتين الكلمتين نوعي ما على الوالي لرعيته: أحدهما: الانتصار من الظالم؛ لأن الظل يلجأ إليه من الحر والشدة. والثاني: إرهاب العدو؛ ليرتدع عن أذى الرعية، فيأمنوا بمكانه من الشر، والعرب تكني بالرمح عن الدفع والمنع)^(٣).

نقل ابن قتيبة الدينوري (رحمه الله) عن كسرى قوله: (لا تنزل ببلد ليس فيه خمسة أشياء: سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، وطبيب عالم، ونهر جار)^(٤).

وإنما فهمي النبي R وأولو البصر بالسياسة عن النزول في الأرض التي لا سلطان فيها؛ لأن السلطان هو الذي يستطيع أن يوفر الأمن للناس؛ فيتحقق لهم الاستقرار، وتستقيم لهم شئون حياتهم.

عن عمر بن الخطاب t أنه قال عند موته: (اعلموا أن الناس لن يزالوا بخير ما استقامت لهم ولاقم وهداقتهم)^(٥).

إذن فقيمة السلطان وأهميته تكمن في حفظه للأمن والاستقرار والنظام، وهو ما لا يتحقق إلا بعدم الافتيات عليه؛ ولذا ينبغي لولي الأمر ألا يتهاون مع من يفتات عليه، بل يكون يقظا حذرا يثيب الطائع المحافظ على نظام الدولة واستقرارها، ويعاقب المفتات، الذي يخل بالنظام، أو يخرج عليه، ويعرض البلاد للقلقل والاضطرابات.

جاء في نهج البلاغة عن الإمام علي t أنه قال في نصحه لأحد الولاة: (ولا يكون المحسن والمسيء لديك سواء، فإن ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان،

(١) تفسير الطبري (٣٠/٣٠٨).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٢/٨)، وفي إسناده بن صبيح قال عنه الذهبي: ضعيف، فيض القدير للمناوي (٤٤١/١).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي، عبدالرؤف المناوي، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، ط(١)، ١٣٥٧هـ - (٤٤١/١).

(٤) عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، شرح: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - (٥٩/١).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن (١٦٢/٨).

وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كل منهم ما ألزم نفسه^(١).

وبالإساءة إلى المسيء، والإحسان إلى المحسن ينتشر الإحسان، ويكف الناس عن الإساءة ويعرف كل امرئ حدوده وواجباته، فيفعل ما له فعله، ويكف عما ليس له؛ ومن ثم يأمن الناس بعضهم بعضا، ويستقرون في أوطانهم، ويتفرغون لمهام التنمية بوجوهها المختلفة؛ فتنتظم أحوال البلاد، وتنتظم أمور العباد، بدافع الرغبة والرغبة؛ حيث يخشى المسيء أن يقع به العقاب، ويرجو المحسن أن ينال الثواب.

وعندما يكف السلطان عدوان الناس بعضهم على بعض، ويأمن بعض الناس بعضا؛ فإن ذلك ينعكس على حياتهم كلها.

قال ابن قتيبة (رحمه الله): (قدم قادم على معاوية بن أبي سفيان t، فقال له معاوية t: هل من مغربة خبر؟ قال: نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب، فبينما أنا عليه أورد أعرابي إبله، فلما شربت ضرب على جنوبها، وقال: عليك زيادا. فقلت له: ما أردت بهذا؟ قال: هي سدى، ما قام لي بها راع مذ ولي زياد؛ فسر ذلك معاوية، وكتب به إلى زياد^(٢)).

وإذا ثبت أنه لا دولة دون استقرار وأنه لا استقرار دون أمان، وأنه لا أمان ولا استقرار دون وجود سلطان مطاع مهاب، تبين مدى سوء الافتيات وضرره، وأنه يفت في عضد الدولة، ويوردها المهالك إلى الحد الذي قد يؤدي إلى زوال الدولة بالكلية.

٢ - اختلال أمر الدين والدنيا:-

كما تؤدي السرية إلى غياب الأمن والاستقرار، فإنها تؤدي إلى وقوع المنازعات والمخاصمات والاختلاف وحصول الفتن والاضطرابات والقلقل، وكلها تؤدي إلى اختلال أمر الدين والدنيا، فيتعدى الناس حدود دينهم، ويرتكبون الموبقات، ويتجرءون على المنكرات؛ لأنهم لا يهابون السلطان الذي يلزمه إقامة الدين، وصيانة حدوده، وحراسة أركانه.

ولهذا فهم رسول الله ﷺ عن الافتيات على الحاكم؛ حتى وإن وقع منه ظلم للرعية، فقال ٣: فيما رواه خالد بن خالد اليشكري، أنه قال: (خرجت زمن فتحت تستر حتى قدمت الكوفة، فدخلت المسجد، فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع من الرجال، حسن الثغر يعرف فيه أنه رجل من أهل الحجاز، فقال، فقلت: من الرجل؟ فقال القوم: أو ما تعرفه؟ قلت: لا، قالوا هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ قال: فقعدت وحدث القوم، فقال: إن الناس كانوا يسألون النبي ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، فأنكر ذلك القوم عليه، فقال لهم: إني سأخبركم بما أنكرتم من

(١) نهج البلاغة وعليه شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت (٨٨/٣).

(٢) عيون الأخبار (٦٢/١).

ذلك: جاء الإسلام حين جاء، فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية، فكنت قد أعطيت في القرآن فهما، فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير، فكنت أسأله عن الشر، قلت: يا رسول الله، أياكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟ قال: "نعم"، قلت: فما العصمة يا رسول الله؟ قال: "السيف"، قلت: وهل بعد السيف بقية؟ قال: "نعم، تكون إمارة على أقذاء، وهدة على دخن"، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: "ثم ينشأ دعاة الضلالة، فإن كان لله في الأرض خليفة جلد ظهرك، وأخذ مالك، فالزمه وإلا قمت وأنت عاض على جذع شجرة"، قال: قلت ثم ماذا؟ قال: "ثم يخرج الدجال، بعد ذلك معه نمر ونار، فمن وقع في ناره، وجب أجره، وحط وزره، ومن وقع في نمره وجب وزره، وحط أجره"، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: "ثم تنتج المهر، فلا يركب حتى تقوم الساعة"^(١).

وفي هذا إرشاد للمسلم أن يتنازل عن حقه - أو بعضه - تجاه ولي الأمر، وعدله مقابل مقاصد الوحدة وجمع الشمل، ودعاء للفرقة وذهاب الريح وسدا لباب الافتيات على ولي الأمر، الذي يفتح الباب للناس على مصراعيه للمخالفات في مجالي الدنيا والدين.

٣ - استحقاق الإثم:-

وتؤدي السرية إلى مخالفة أوامر الله U المعاقب عليها، والأحاديث التي وردت في الأمر بطاعة أولي الأمر، وعدم نكث البيعة والأمر بالصبر على جور السلطان وظلمه، وإن رأى الإنسان ما يكرهه منه، خير دليل على ذلك، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١ - قوله ٣: "أطع أميرك، وإن جلد ظهرك، وأخذ مالك"^(٢).

٢ - عن عبادة بن الصامت t أنه قال: (دعانا رسول الله ٣، فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا، ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان)^(٣).

٣ - عن أبي سعيد الخدري t أنه قال: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)^(٤).

٤ - عن حذيفة بن اليمان t أنه قال: (كان الناس يسألون رسول الله ٣ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم، وفيه دخن"، قلت: وما دخنه؟ قال: "قوم

(١) أخرجه أبو داود (٩٥/٤) كتاب الفتن، باب: ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٤٤)، وأحمد في المسند (٣٨٦/٥ - ٤٠٣)، وأخرجه الحاكم (٤٢٣/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم (١٤٧٦/٣)، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٣) تقدم.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤/١٣) كتاب الفتن، باب: التعرب في الفتنة (٧٠٨٨).

يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر". قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: "نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليه قذفوه فيها". قلت: يا رسول الله؛ صفهم لنا، فقال: "هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمري إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"^(١).

٤ - تشويه سمعة الإسلام:-

من أضرار السرية أيضا تشويه سمعة الإسلام، فإن أعداء الدين يستغلون ما ينتج بسبب السرية من قلق، واضطرابات، وعداوات، ومشاحنات، وغياب للأمن والاستقرار، للطعن في الإسلام، وتنفير الناس عنه، مع أن الإسلام بريء من ذلك، فأخلاق الإسلام: صدق وبر ووفاء، ودين الإسلام يحذر من هذه السرية وأمثالها أشد التحذير، فضلا عما يترتب على الآثار السابقة من أضرار اقتصادية واجتماعية؛ وفتن لا يعلم مداها إلا الله.

سئل الشيخ صالح بن فوزان الفوزان (رحمه الله):- من بعض طلبه العلم عن حكم من ينتمي إلى تلك الجماعات، خصوصا تلك التي تقوم على السرية والبيعة؟، فأجاب: (النبى ٣ أخبرنا بحصول النفرق وأمرنا عند ذلك بالاجتماع، وأن نكون على ما كان عليه الرسول ٣ وأصحابه، قال ٣: "افترت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة" قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"^(٢).

وقال ٣ لما طلب منه أصحابه الوصية: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ"^(٣).

وهذا منهج يجب أن يسير عليه المسلمون إلى يوم القيامة عند الاختلاف بينهم، فإنهم يرجعون إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة في المنهج والدين والبيعة وغير ذلك^(٤).

(١) البخاري (فتح ٣٥/١٣)، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة.

(٢) أخرجه بحشل في تاريخ واسط (١٩٦/١)، والمروزي في السنة (٢٣)، والطبراني في المعجم الصغير (٢٩/٢)، وفي الأوسط (١٣٧/٥)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٢١٨/١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٤٢/٩)، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٦٤/٢).

(٣) تقدم.

(٤) ينظر الولاء والبراء، للشريف العوفي.

المطلب الثاني: ويلات التنظيمات السرية:-

وفي أجواء العمل السري، يسهل على من لا كفاءة لهم أن يتشبثوا بالقيادة، ويسدوا منافذها أمام غيرهم، فأجواء (حالة الطوارئ) الذهنية والعملية التي تصاحب العمل السري هي أحسن معين لعديمي الكفاءة على بقائهم في أي منصب قيادي، ولمن تجاوزتهم حركة المجتمع للتشيت بما ليسوا له بأهل، حيث لا مجال للفرز الواضح أو للمدافعة العاصمة من الفساد. إن المحافظة على شرعية القيادة مع ظلمات العمل السري أمر عسير للغاية، فالشرعية والسرية أمران لا يجتمعان في الغالب الأعم، والاستبداد والسرية حليفان في الغالب الأعم، فكما تميل أنظمة الاستبداد بحكم طبيعتها الاستبدادية إلى السرية والتكتم، فإن الحركات السرية تميل بحكم طبيعتها السرية إلى الاستبداد.

وكما تقدم أن السرية هي افتيات على الإمام وعمل غير مشروع وتعدي على من هو أحق منه بالأمر فيه، والتعدي على حق من هو أولى منه، ومن ثم كانت السرية عملاً غير جائز؛ لأنه تعد على حق الإمام المنسوب من جهة الشرع.

المبحث الرابع: قصور النظر السياسي:-

المطلب الأول: أهمية الفراسة ودورها في السياسة الشرعية:-

مدح الله U الفراسة وأهلها في مواضع من كتابه. قال الله U (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ (٧٥))^(١)، وهم المتفرسون الآخذون بالسليما، وهي العلامة، يقال: تفرست فيك كيت وكيت وتوسمتته. وقال الله U (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠))^(٢). وقال الله U (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣))^(٣).

ولم يزل حذاق الحكام والولاة يستخرجون الحقوق بالفراسة والأمارات. قال القرطبي (رحمه الله): (هذا النوع من الفراسة لا يكتسب، وإنما بجودة القريحة وحدة الخاطر وصفاء الفكر، وتفريغ القلب من حشو الدنيا، وتطهيره من أدناس المعاصي، وكدورة

(١) سورة الحجر الآية ٧٥.

(٢) سورة محمد الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٣.

الأخلاق وفضول الدنيا^(١).

قال الماوردي (رحمه الله): (وينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف منبع طاقته وقدّر استحقاقه ليعطيه ما يتحمّله بذكائه أو يضعف عنه ببلادته فإنه أروح للعالم وأنجح للمتعلّم)^(٢).

وعلم الفراسة علم تعرف منه أخلاق الناس من أحوالهم الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء وبالجملة الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن^(٣).

وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه، فإذا كان النبيل حاذقاً في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره^(٤)، وعلم الفراسة طريق من طرق الأحكام في مجال السياسة الشرعية.

الفرع الأول: - الفراسة في القرآن: -

الفراسة كغيرها من العلوم لها أصل في القرآن الكريم، وفي هذا المبحث ليس المقصود سوق الأدلة على وجود الفراسة، ولكن إبراز ما أورده القرآن الكريم من نماذج في الفراسة وعمدة القول في هذا ما رواه سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن ابن مسعود t : (أفرس الناس ثلاثة: العزيز في يوسف حين قال لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وابنة شعيب حين قالت في موسى: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين، وأبو بكر في عمر (رضي الله عنهما) حين استخلفه على المسلمين)^(٥).

فهذا الأثر عن ابن مسعود يوضح ويضع أيدينا على بعض المواطن التي حكي فيها القرآن الكريم نماذج للفراسة، وهي مواطن عديدة:

الموطن الأول: قال الله U : (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١))^(٦).

لما كاد إخوة يوسف به، وكان منهم ما حكاه عنهم القرآن الكريم، كان من قدر الله تعالى بيوسف الذي تحفه رعاية الله أن يلتقطه بعض السيارة، وهي القوافل التي تمر وتسير في الصحراء

(١) تفسير القرطبي (٤٤/١٠).

(٢) الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص (٨٩، ٩٠).

(٣) أبعاد العلوم (٣٩٦/٢).

(٤) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب (١١٨/٤).

(٥) الأثر رواه الحاكم في المستدرک (٣٧٦/٢) برقم ٣٣٢، ووافقه الذهبي في صحته، ورواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٤٣٥/٧)، برقم

(٣٧٥٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٧/٩)، برقم (٨٨٢٩).

(٦) سورة يوسف الآية (٢١).

للتجارة أو غيرها، فيتزودون من كل بئر يمرون عليه بالماء، وعندما أدلى أحدهم بدلوه تعلق به يوسف وكان صغيرا لما يثقل باللحم بعد، قال يا بشرى هذا غلام .

وعرضوه للبيع وكانوا فيه من الزاهدين أي لم يطلبوا فيه ثمنا غاليا وذلك لأنهم رأوا من يوسف النجابة والنضارة والجمال فتفرسوا فيه أن يكون من العائلات المالكة في ذلك الوقت، وطالما بهذا الجمال فلن يكف أهله عن البحث عنه ولا يبعد أن يكون أهله من علية القوم فلو مكث في أيديهم فتره طويلة فلربما تعرف عليه أهله فيأخذوه منهم وربما أضروهم فليست هيئته هيئة العبيد الذين يفرون من أسيادهم .

ولذا أرادوا أن يستفيدوا بسببه ولو بأقل القليل ولذا باعوه لأول مشتر عرض فيه هذا الثمن البخس، فهو أحسن من لا شيء .

ويعلل الإمام الشوكاني (رحمه الله) زهدهم فيه بقوله: (باعوه بذلك الثمن البخس وذلك لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به) (١)

انتقل يوسف إلى بيئة جديدة ومستقر جديد وكان من قدر الله أن الذي اشتراه من مصر لم يكن رجلا عاديا بل كان من علية القوم وهذا ما كشفته لنا النسوة كما حكاه عنهن القرآن الكريم (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)) (٢)

كان هذا العزيز لا يولد له ولد وعندما شاهد يوسف ذلك الولد النجيب أعجبه وتفرس فيه ما حكاه عنه القرآن الكريم (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٣) ويا ليت امرأة العزيز استجابت لما قاله زوجها فبدلا من إكرامه نراها قد كادت له وأرادت أن توقعه في برائتها لولا قدر الله ولطفه بعباده وأوليائه .

ويقول الزمخشري: (عسى أن ينفعنا: لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته، أو نتبناه ونقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيما لا يولد له، وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك) (٤).

أما الإمام ابن عاشور فيطالعنا في هذا الموضع بقوله: (المعنى إجعلى إقامته عندك كريمة أي كاملة في نوعها، أراد أن يجعل الإحسان إليه سببا في اجتلاب محبته إياها ونصحها لهما فينفعهما أو

(١) فتح القدير ١٩/٣ .

(٢) سورة يوسف الآية (٣).

(٣) سورة يوسف الآية (٢١).

(٤) الكشاف للزمخشري ٥٧٧/١

يتخذانه ولدا فيبر بهما وذلك أشد تقريبا، ولعله كان آيسا من ولادة زوجه وإنما قال ذلك لحسن تفرسه في ملامح يوسف U المؤذنة بالكمال وكيف لا يكون رجلا ذا فراسة وقد جعله الملك شرطته فقد كان الملوك أهل حذر فلا يولون أمورهم غير الأكفاء^(١).

وهكذا حكى لنا القرآن الكريم هذا النموذج من نماذج الفراسة في القرآن الكريم، ونص جمهور المفسرين من خلال هذا الموطن على تحقق الفراسة فيه .

الموطن الثاني:

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)^(٢)، خرج موسى عليه السلام من مصر خائفا يترقب بعد أن وكر الرجل المصري فقتله وقال ما حكاه عنه القرآن الكريم (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)^(٣)، بعدها توجه موسى U بقدر الله إلى (مدين) وهي بأطراف الجزيرة العربية، وعندما وصل إليها وجد جماعة من الناس يسقون ماشيتهم وأنعامهم، وكان زحاما وعندما أرسل نظره هنا وهناك وجد على جانب من هذا الرحام امرأتين تزودان، يعنى تمنعان أنعامهما عن الماء فلما رأى منهما هذا الفعل سألهما ما خطبكما ؟ فأجابتا إجابة مختصرة ومفيدة لا تطمع فيهما أحدا من غير خضوع في القول، قلنا: (لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) فهي إجابة تنم عن حسن تربية وأرادتا أن تقطع سبيل الكلام مع موسى U حتى لا يماطل في الكلام معهما فقالتا : (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ).

ولما علم موسى U منهما حسن أخلاقهما وتحريهما الأخلاق الحسنة قابل كلامهما بمعروف فسقى لهما ثم تولى إلى الظل وقال متأدبا في الطلب من الله تعالى: (رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)، وتسير القصة في مسارها الذي قدره الله، وما هي إلا فترة وجيزة حتى جاءته إحداهما، تتجمل بالحياء إما في مشيتها إذا قرأنا (تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) وأما في كلامها معه إذا قرأنا "على استحياء قالت" ولا يبعد أن يكون الحياء منها في المشي والكلام معا فهي بنت الرجل الصالح، قالت له (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)، فتوسم موسى خيرا وعلم أن الله قد استجاب دعوته فلما حضر أمام شعيب وقص موسى قصته على الرجل الصالح قوى من أزره وعضد من عزيمته وقال له (لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، وهنا تفرست بنت الرجل الصالح فراستان:

الأولى: في والدها من خلال كلامه مع موسى، فتفرست أن أباهما راض عن هذا الشاب وعن أفعاله، فاقتنصت الفرصة وقالت ما حكاه القرآن الكريم عنها (يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ) كناية عن

(١) التحرير والتنوير ١/ ٢١٧٥

(٢) سورة القصص الآية (٢٦).

(٣) سورة القصص الآية (٢١).

عرضها الزواج منه بعفة المرأة الحرة الأبية، (إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ).

الثانية: تفرست في موسى القوة والأمانة، وعندما سأها والدها شعيب عن تفرسها؟

قالت: أما القوة فلأنه بعد انصراف الناس عن البئر قام ورفع حجره وهو ضخم ولا

يستطيع رفعه إلا النفر الأقوياء .

وأما أمانته: فلأنه عندما أخبرته إن أبي يريدك لم يتبعني في السير بل عرض على أن أسير أنا خلفه ويسير هو أمامي فإن ضل الطريق فما عليها إلا أن تقذف بحصيات نحو الطريق الصحيح حتى وصل إلى البيت، فأى أمانة أفضل من هذه الأمانة فهو أمين على الأعراض، فهنا تفرست بنت شعيب في موسى القوة والأمانة لما رأت من أفعاله ما يرجح عندها هذه الفراسة، فاستدلت بما ظهر على ما خفي وهذا هو عين الفراسة .

وعن لقاء موسى ببنت الرجل الصالح عندما جاءتة تستدعيه لأبيها فيطالعنا، قال المفسرون:
(لما سمع موسى هذا الكلام كرهها وأراد أن لا يتبعها فلم يجد بداً للجهد الذي به من اتباعها
فتبعها فكانت الريح تضرب ثوبها فيصف بعض جسدها فنادها : يا أمة الله كوني خلفي ودليني
الطريق (فَلَمَّا جَاءَتْ) أي موسى شعبياً وقص عليه القصص أي أخبره بأمره، قال لا تخف نجوت
من القوم الظالمين .

أي لا سلطان لفرعون بأرضنا ولسنا في مملكته، قالت إحداهما وهي الكبرى: يا أبت استأجره أي اتخذهُ أجيراً أن خير من استأجرت القوى الأمين: أي خير من استعملت على عملك من قوى على عملك، وأدى الأمانة، وإنما سمته قويا لرفعه الحجر على رأس البئر، وقيل لأنه استقى بدلوا لا يقلها إلا العدد الكثير من الرجال. وسمته أمينا لأنه أمرها أن تمشي خلفه.....^(١)

ولا شك كان هذا تفرسا من بنت شعيب من خلال ما ظهر لها من سلوك موسى عليه السلام.

الموطن الثالث: (وَقَالَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (٢).

هذا هو الموطن الثالث والذي أجرى الله فيه الفراسة على لسان هذه المرأة الصالحة التي عاشت في بيئة كافرة، فلم تؤثر هذه البيئة الفاسدة على علاقتها مع ربها وجعلها الله مثلاً يحتذى به فقال (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (٣).

وأمام هذه القصة - سواء قصة امرأة فرعون أو قصة موسى مع فرعون - يقف العقل

(١) زاد المسير (٦/٢١٥، ٢١٤).

(٢) سورة القصص: الآية (٩).

(٣) سورة التحريم: الآية (١).

البشرى مشدوها أمام قدرة الله وحكمة أفعاله ولا يملك الإنسان عندها إلا أن يقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

عزم فرعون على قتل موسى لكن قبض الله لموسى من يدفع ويذب عنه حتى ينفذ قدر الله، على الفور قالت السيدة آسيا وهى من أحبت هذا الطفل النجيب: (لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وأقنعت الزوجة زوجها حتى عدل عن فكرة القتل لموسى لكن القدر أخفى لفرعون ما لا طاقة له به.

وهنا تفرست امرأة فرعون في موسى لما رأت من أمارات النجابة والذكاء أنه ينفعها فقالت: (قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) فأجابها فرعون أما لك فنعم وأما لي فلا .

فكان كذلك فصار موسى لامرأة فرعون منجاة لها من النيران وصار لفرعون عدوا وحرنا وأغرق الله فرعون على يد موسى ۞ فسبحان من إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون . وهكذا أشرنا إلى هذه القصة بطريقة إجمالية وكيف أن السيدة آسيا امرأة فرعون تفرست في موسى أنه ينفعها، فهذا النوع من الفراسة من النوع الذي يصبه الله في قلوب من أراد من عباده دون مباشرة أي أسباب، والله أعلم .

هذا هو الأرجح كرامة لهذه المرأة التي خلد الله ذكرها في القرآن الكريم، وكذا سنة النبي ٢ حيث يقول : "كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم أبنت عمران واسيا امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على باقي الطعام"(١) ويقول الإمام السيوطي في الدر المنثور: (ألقيت عليها رحمته حين أبصرته وهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه وفي زمانه)(٢)

الموطن الرابع: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (٣).

هل يتفرس الإنسان من نفسه شيئا ؟

في الواقع أنه لا مانع أبدا من أن يتفرس الإنسان من نفسه فإن أبصر الناس بالنفس هو صاحب النفس ذاته، فإنه يعلم من نفسه ما لا يعلمه غيره، بل ويكشف لنفسه ما يستحي أن يكشفه أمام غيره، هذا إذا اعتبرنا أنه يمارس مع نفسه الفراسة الرياضية التي تمارس الأسباب والدراسة أما الفراسة الإيمانية فالكل فيها سواء .

المهم أن سيدنا يوسف ۞ تفرس في نفسه القدرة على إدارة الأمور الخاصة بالخزانة آنذاك

(١) رواه البخاري من حديث أبي موسى (١٢٥٣/٣)، برقم ٣٢٣، ومسلم من حديث أبي موسى ١٨٨٦/٤ برقم (٢٤٣١).

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٣٩٤/٦.

(٣) سورة يوسف الآيات (٥٥،٥٤).

أو على حد تعبير القرآن الكريم (خَزَائِنِ الْأَرْضِ) فإنه لما كاد إخوة يوسف ليوسف، وقدر الله له النجاة واشتراه عزيز مصر وقربه منه منزلا فلم يلبث حتى مكرت به امرأة العزيز وأرادت أن توقعه في شراكها فنجاه الله من مكرها وكذلك ينجي الله المؤمنين .

ودخل يوسف السجن واشتهر فيه بتعبير الرؤى حتى وصى صاحبه في السجن أن يذكره عند ربه (أمام الملك) فكان ذلك بعد فترة .

عندما رأى الملك رؤية اعتقد أنها تهدد مستقبل البلاد وبحث عن معبر للرؤى فتذكر صاحب يوسف أيام كان في السجن، ودل الملك على يوسف ولما ذهب هذا الرجل ليوسف في السجن وقص عليه رؤيا الملك، على الفور أجاب يوسف ولم يتدلل فهو لم ييخل بالبيان على من طلبه وهذه حنكة الدعوة.

ورجع هذا الرجل للملك وأخبره بتأويل يوسف وهو ما حكاه القرآن الكريم (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُخْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)^(١) .

وعلى الفور استدعاه الملك فلما كلمه الملك عرض يوسف على الملك أن يتقلد مفاتيح الأمر في الخزائن لما تفرس من نفسه القدرة على هذا العمل وهذا لا يتعارض مع التعاليم الصحيحة من أن الإنسان لا ينبغي أن يطلب الإمارة لنفسه وإلا وكل إليها على حد تعبير النبي ﷺ لأن الإنسان إذا وجد في نفسه القدرة على ما لا يستطيعه غيره، فلا حرج أبدا أن يعرض نفسه لهذا لعمل ويوسف U تفرس في نفسه القدرة على هذا العمل .

يقول الإمام الشوكاني: (فعبّر يوسف U السبع البقرات السمان بسبع سنين فيها خصب والعجاف بسبع سنين فيها جدد وهكذا عبر السبع السنبلات الخضر والسبع اليابسات)^(٢) .

ويقول شيخ المفسرين الطبري (رحمه الله): في قوله تعالى (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) هذا خبر من يوسف U للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقة)^(٣) .

واقترح يوسف U ذلك إعدادا لنفسه للقيام بمصالح الأمة على سنة أهل الفضل والكمال من ارتياح نفوسهم للعمل في المصالح، ولذلك لم يسأل ملكا لنفسه ولا عرضا من متاع

(١) سورة يوسف الآيات (٤٦-٤٩).

(٢) فتح القدير ٤٥/٣.

(٣) جامع البيان ٢٢٩/٧.

الدنيا ولكن سأل أن يوليه خزائن المملكة ليحفظ الأموال ويعدل في توزيعها ويرفق بالأمة في جمعها وإبلاغها لمخاها ١ وعلل طلبه ذلك بقوله (إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ) المفيد تعليل ما قبلها لوقوع (إن) في صدر الجملة فإنه علم أنه اتصف بصفتين يعسر حصول إحداهما في الناس بل كليهما.

وهما: الحفظ لما يليه والعلم بتدبير ما يتولاه ليعلم الملك أن مكانته لديه وائتمانه إياه قد صادفا محلها وأهلها وأنه حقيق بهما لأنه متصف بما يفي بواجبهما وذلك صفة الحفظ المحقق للائتمان وصفة العلم المحقق للمكانة وفي هذا تعريف بفضلته ليهتدي الناس إلى إتباعه، وبهذه الآية استدلل الفقهاء على جواز طلب القضاء لمن يعلم أنه أهل وأنه إن لم يول ضاعت الحقوق.

قال الإمام البيضاوي عليقا على كلام يوسف ١: (اجعلي على خزائن الأرض "بقوله" وفيه دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها، والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل لإقامة الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به وعن مجاهد أن الملك أسلم على يديه...) (١).

ويقول الإمام النسفي: (وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله بعث الأنبياء للعباد، ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلبه ابتغاء وجه الله لا حب الملك والدنيا)(٢).

هكذا أفاض العلماء والمفسرون في إيضاح قصة يوسف عليه السلام وطلبه من الملك أن يتقلد خزائن الأرض في زمانه .

وقبل أن نترك الحديث عن الفراسة في القرآن الكريم نود أن نشير للقارئ الكريم أن هناك مواضع أخرى ذكرت فيها الفراسة لكن نكتفي بما ذكرناه تفصيلاً.

الفرع الثاني الفراسة في السنة:

وبعد أن وضعنا نصب أعين القارئ الكريم نماذج من الفراسة في القرآن الكريم، وألقينا عليها بصيصاً من الضوء بحيث يتلمسها القارئ بسهولة ويسر .

حان الوقت أن نسوق أيضاً نماذج للفراسة من خلال سنة النبي ٣ وفي الواقع أن هذا أمر دقيق للغاية، وينبغي ضبطه فالتوسع فيه يذهب بروح السنة ووحى الله إلى رسوله، كما أن الاختزال فيه يهضم السنة حقها من ممارسة الفراسة، ولا نريد أن نتوسع وراء ذكر النماذج حتى لا نذهب بروح السنة المطهرة وإلا لأدخلنا قسطاً كبيراً منها ضمن الفراسة وهذا يضعف من مقام السنة فوحي الله لرسوله أقوى بكثير من فراسة المتفرس أياً ما كان نوعها .

يقول ابن القيم (رحمه الله) في "الطرق الحكمية: (إن السنة يقع فيها قسط كبير من الفراسة.

(١) تفسير البيضاوي (٢٩٥/١).

(٢) تفسير النسفي (١٩٤/٢).

ومن أنواع الفراسة ما أرشدت إليه السنة النبوية من التخلص من المكروه بأمر سهل جدا ومن التعريض بقول أو فعل، فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ؓ قال: قال رجل يا رسول الله إن لي جاراً يؤذيني، قال انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، فانطلق فأخرج متاعه إلى الطريق فاجتمع الناس إليه فقالوا ما شانك؟ فقال: إن لي جاراً يؤذيني فجعلوا يقولون اللهم عنه اللهم أخرجه، فبلغه ذلك، فأتاه فقال ارجع إلى منزلك فوالله لا أؤذيك أبداً. ثم يعلق الإمام ابن القيم على هذه الحادثة " فهذه وأمثالها من الحيل التي أبحاثها الشريعة وهي تعين الإنسان بفعل مباح على التخلص من ظلم غيره وأذاه، لا الاحتيال على إسقاط فرائض الله واستباحة محارمه^(١) .

ونكتفي هنا بإيراد هذا النموذج فقط حتى لا يخرج بنا المقام إلى حد التكلف، ولا ننكر أبداً أن النبي ﷺ كان من الناحية البشرية ذا فراسة عالية فصل اللهم وسلم وزد وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً .

الفرع الثالث القضاء بالفراسة:-

إن القضاء مهمة صعبة انتدب الله إليها بعضاً من خلقه واستأنهم على هذه المهمة وهي مهنة الأنبياء قال الله ﷻ (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦))^(٢)، وهي وصية الله لكل من تنصب مهمة القضاء أن يتحرى الدقة ويحكم بين الناس بالحق ولا يركن إلى الهوى .

ومعلوم اختلاف العلماء حول قضاء القاضي بعلمه هل يجوز أولاً يجوز؟ والأرجح أنه لا يجوز، لأن الحكم يقوم على الأدلة والبراهين الظاهرة والله يتولى السرائر، لذا فإن حكم الحاكم وقضاء القاضي لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ "فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها"^(٣) .

والفراسة كما هو معلوم حالة فردية وفي أغلب أحوالها ألها لا ضابط لها، وعليه فالقضاء بالفراسة أمر مرفوض وغير معول عليه حتى لا يصير القضاء فوضوياً لا ضابط له بل هي أدلة وبراهين وقرائن، والنبي ﷺ ذاته قد يطلعه الله على بعض الغيب حسب إرادة الله ومع ذلك كان في قضائه وقافاً عند الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة "ولعل أحدكم يكون ألحن بالحجة من

(١) الطرق الحكيمة (٤٦/١).

(٢) سورة ص الآية (٢٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه عن أم سلمة برقم (٢٣٢٦)، (٨٦٧/٢)، ومسلم، كتاب: الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللعن بالحجة (١٣٣٧/٣)، برقم (١٧١٣).

أخيه فأقضى له "(١).

وإذا كان النبي ﷺ لم يحكم في الخصومات لا بعلمه ولا بالفراصة فأولى بنا أن نقتدي برسول الله ونقف في القضاء عند ما توفر من الأدلة والبراهين والله تعالى يتولى السرائر، وهذا لا يعنى إهمال الفراصة على الإطلاق لكن المراد ألا تكون الفراصة مصدرا من مصادر القضاء والتشريع ومع هذا فيمكن الاستعانة بالفراصة فيما يخص الحكم والقضاء كالاتماع إلى الشهود بفراصة أو التفرس في الشهود الصدق أو الكذب حسب ما يظهر للمتفرس مما يعينه على تثبيت وجهة نظره. يقول الإمام أبو بكر بن العربي (رحمه الله): (إذا ثبت أن التوسم والتفرس من مدارك المعاني فإن ذلك لا يترتب عليه حكم ولا يؤخذ به موسوم ولا متفرس، وقد كان قاضي القضاة الشامي المالكي ببغداد أيام كوني بالشام يحكم بالفراصة في الأحكام جريا على طريق إياس بن معاوية أيام كان قاضيا، وكان شيخنا فخر الإسلام أبو بكر الشاش صنف جزءا في الرد عليه كتبه لي بخطه وأعطانيه، وذلك صحيح فإن مدارك الأحكام معلومة شرعا، مدركة قطعاً وليست الفراصة منه (٢).

ويقول ابن القيم (رحمه الله) في مسألة الحكم بين الخصوم بالفراصة: (هذه مسألة كبيرة عظيمة النفع جليلة القدر إن أهملها القاضي أو الحاكم أضاع حقا كثيرا وأقام باطلا كثيرا، وإن توسع فيها وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع في أنواع الظلم والفساد .

وقد سئل أبو الوفاء ابن عقيل عن هذه المسألة فقال: ليس ذلك حكما بالفراصة بل هو حكم الأمارات، وإذا تأملتكم الشرع وجدتموه يجوز التعويل على ذلك وقد ذهب مالك رحمه الله تعالى إلى التوصل بالإقرار بما يراه الحاكم، وذلك مستند إلى قوله تعالى (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)، فالحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ودلائل الحال ومعرفة شواهده وفي القرائن الحالية والمقالية كفقهاء في كليات الأحكام أضاع حقوقا كثيرة على أصحابها وحكم بما يعلم الناس بطلانه

فهاهنا نوعان من الفقه لابد للعالم منهما :

١ - فقه في أحكام الحوادث الكلية .

٢ - فقه في نفس الواقع وأحوال الناس يميز به بين الصادق والكاذب والحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا فيعطى الواقع حكمه من الواجب ولا يجعل الواجب مخالفا للواقع (٣)، وهكذا فالحكم في القضاء بالفراصة أمر جليل يجب الحذر منه والتحري ففيه خيط دقيق يجب

(١) جزء من الحديث الذي سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(٢) تفسير القرطبي ٣٩/١ .

(٣) الطرق الحكمية ٦/١ .

مراعاته وإلا ترتب عليه ضرر بالغ.

أما استخدام الفراسة فيما يتوصل به إلى الحكم فهو أمر مجمع على جوازه بل وضرورته كالتفريق عند سماع شهادة الشهود ومحاولة استخراج الحق من كلامهم .

يقول ابن القيم (رحمه الله) في الطرق الحكمية: (ولم يزل حذاق الحكم والولاء يستخرجون الحقوق بالفراسة والإمارات فإذا ظهرت لم يقدموا عليها شهادة تخالفها ولا إقرار وقد صرح الفقهاء كلهم بأن الحاكم إذا ارتاب بالشهود فرقهم وسألهم كيف تحملوا الشهادة وأين تحملوها وذلك واجب عليه متى عدل عنه أثم وجار في الحكم)^(١).

وعليه فاستخدام الفراسة في القضاء والحكم أمر يحتاج إلى ضبط ومراعاة فلا يمنع على عموميه ولا يقبل أيضا على عموميه، والقاضي أحق من أن ينبه إلى مثل هذه الأمور.

الفرع الرابع نماذج من فراسة الصحابة :

إذا ذكرنا الفراسة لدى الصحابة انماالت علينا لكل منهم نماذج قد تفوق الحصر فهم للفراسة أكفاء، وهم أهل لعطاء الله لهم، مثل هذه الهبات والنفحات الربانية.

فراسة أبي بكر الصديق ؓ :-

كان أبو بكر من أصدق المتفرسين ومواقفه مع الفراسة عديدة ولكننا التزمنا بعدم التطويل ونكتفي فقط بمثال واحد لفراسته وهو تفرسه في عمر بن الخطاب صلاحيته للحكم والخلافة بعده فاستخلفه على الأمة الإسلامية .

ولعل الأثر عن ابن مسعود ما زال يتردد بآذاننا ((أفرس الناس ثلاثة :عزير مصر في يوسف، وبنت شعيب في موسى، وأبو بكر في عمر ؓ حين استخلفه على المسلمين)).

وورد أن أبا بكر لما عهد بالخلافة لعمر بن الخطاب من بعده عاب عليه ولامه بعض الصحابة لشدة عمر وغلظته، فقال : لأن سألني ربي عن هذا الفعل لأجبتة "استخلفت عليهم قويا في الحق ...، فأبو بكر ؓ تفرس أن الفترة المقبلة في زمن الأمة لن يصلحها إلا عمر فهو الشديد في الحق وهو من لا يهاب في الله لومه لائم، ولقد صدقت فراسة أبي بكر في عمر .

فكان عمر جديرا بما دون غيره، ملاء الدنيا عدلا وتقوى حتى صار مثالا يحتذى به في العدل بين الرعية وهذا أمر صعب المنال حتى قيل له يا عمر : (لقد أجهدت الخلفاء من بعدك يا عمر)

يقول ابن القيم (كان الصديق ؓ أعظم الأمة فراسة، وبعده عمر بن الخطاب ؓ)^(٢).

(١) السابق (٣٤/١).

(٢) مدارج السالكين (٤٨٥/٢).

فراصة عمر بن الخطاب t :-

إذا ذكرت الفراسة عند الصحابة جاء على رأس القائمة عمر t ولو حاولنا حصر نماذج ومواضع فراسته لأعيانا هذا ولأخرجنا منه سفرا .

يقول ابن القيم (رحمه الله): (شيخ المتوسمين عمر بن الخطاب t الذي لم يكن تخطئ له فراصة وكان يحكم بين الأمة بالفراصة المؤيدة بالوحي)^(١) .

قال ابن القيم (رحمه الله): (أتى عمر بن الخطاب يوما بفتى أمرد وقد وجد قتيلًا ملقى على وجه الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر فشق ذلك عليه فقال: اللهم أظفري بقاتله حتى إذا كان على رأس الحول وجد صبيا مولودا ملقى بموضع القتل فأتى به عمر فقال ظفرت بدم القتل إن شاء الله تعالى، فدفعت الصبي إلى امرأة وقال لها قومي بشأنه وخذي منا نفقته وانظري من يأخذه منك فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها فلما شب الصبي جاءت جارية فقالت للمرأة إن سيدتي بعثتني إليك لتبعني بالصبي لتراه وترده إليك قالت نعم أذهبي به إليها وأنا معك فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت علي سيدتها فلما رآته أخذته فقبلته وضمته إليها فإذا هي ابنة شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ فأتت عمر فأخبرته فاشتمل على سيفه ثم أقبل إلى منزل المرأة فوجد أباهما متكئا على باب داره فقال له يا فلان ما فعلت ابنتك فلانة؟، قال: جزاها الله خيرا يا أمير المؤمنين هي من أعرف الناس بحق أبيها مع حسن صلاحها والقيام بدينها، فقال عمر قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبة في الخير وأحثها عليه فدخل أبوها ودخل عمر معه فأمر عمر من عندها فخرج وبقي هو والمرأة في البيت فكشف عمر عن السيف وقال: اصدقيني وإلا ضربت عنقك، وكان لا يكذب، فقالت على رسلك فوالله لأصدقن إن عجوزا كانت تدخل علي فأخذها أما، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت حتى مضى لذلك حين ثم إنما قالت يا بنية إنه قد عرض لي سفر ولي ابنة في موضع أتخوف عليها فيه أن تضيع وقد أحببت أن أضمرها إليك حتى أرجع من سفري فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهينة الجارية وأتتني لا أشك أنه جارية فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية حتى اغتفلني يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني فمددت يدي إلى شفرة كانت إلى جانبي فقتلته ثم أمرت به فألقى حيث رأيت فاشتملت منه على هذا الصبي فلما وضعته ألقىته في موضع أبيه فهذا والله خبرهما علي ما أعلمتك فقال صدقت ثم أوصاها ودعا لها وخرج وقال لأبيها نعمت الابنة ابنتك ثم انصرف^(٢) .

(١) السابق.

(٢) السابق (٤١/١).

وهكذا كانت فراسة الفاروق عم، كيف لا وقد وافقه الوحي في أكثر من موضع حتى ألف الإمام السيوطي في هذا مؤلفاً أسماه (قطف الثمر في موافقات عمر).

فراصة علي بن أبي طالب :-

لقد تربع علي t على عرش الفراسة في زمنه فكان متفرساً حصيفاً وبها كان يفك العضلات حتى ضرب به المثل في تصديه للمعضلات ويقال في المثل السائر (قضية ولا أبا الحسن لها)، ويقال عند مواجهة قضايا صعبة لدرجة كبيرة، ومن هذه المعضلات التي قضى فيها الإمام علي بالفراصة، ما ذكره بن القيم (رحمه الله): (أن رجلين من قريش دفعا إلى امرأة مائة دينار وديعة وقالوا لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه فلبثا حولاً.

فجاء أحدهما فقال: إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير فأبت، وقالت: إنكما قتلتما لي لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه فليست بدفعتيها إليك فتثقل عليها بأهلها وجيرانها حتى دفعتها إليه ثم لبثت حولاً آخر فجاء الآخر فقال ادفعي إلي الدنانير فقالت إن صاحبك جاءني فزعم أنك قد مت فدفعتها إليه.

فاختصما إلى عمر t فأراد أن يقضى عليها فقالت ادفعنا إلى علي بن أبي طالب فعرف علي أنهما قد مكرأ بها، فقال: أليس قد قتلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟ قال: بلى قال: فإن مالك عندها فاذهب فجئ بصاحبك حتى تدفعه إليكما.....)(^(١).

أرأيتم فراسة كفراصة على إنما حقا نور الله يعطيه من يشاء من عباده (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ)(^(٢).

فراصة عبد الله بن عمر:-

إنه بن الخطاب وأحد العبادلة الأربعة المكثرين من الرواية في الحديث عن رسول الله، وكان ملازماً لرسول الله لا يفارقه إلا اليسير، وكان شديد التأسي برسول الله في كل شيء فلا عجب أن يرث الفراسة من ينوعها الصافي رسول الله ٣، فهو ربيب بيت النبوة، أسلم قبل أبيه وشهد الغزوات العديدة مع النبي ٣.

ومن فراسته ما كان بينه وبين الحسين بن علي عندما استدعاه أهل العراق للولاية ومكر به الوالي وحذره الفرزدق بأن قلوب أهل العراق معه لكن سيوفهم تابعة للبيت الأموي فهي عليك يا حسين (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، أصر الحسين على الخروج لأهل العراق لما وصله من بعض الكتب قبل تغيير الموقف هناك، فلما أراد الحسين أن يودع ابن عمر قال له ابن عمر

(١) السابق (٤٤/١).

(٢) سورة النور الآية (٣٥)

: (أستودعك الله من قتيل ومعه كتب العراق) فكانت فراسة ابن عمر في الحسين أسرع من كتب أهل العراق، واستشهد الحسين بن علي على يد أهل العراق^(١).

والكلام عن الصحابة وفراساتهم لا تمله الآذان ولا تحيط به الأقلام، وإذا تركنا الكلام والحديث عن فراسة الصحابة إلى غيرهم ممن هو دونهم وجدنا أيضا سفرا عظيما وحمل بعير، فعطاء الله مستمر ولا يخلو زمن من أولياء يستحقون أن يفيض الله عليهم .

فراسة إياس:-

إياس بن معاوية يضرب به المثل قديما وحديثا في حدة الذكاء وقوة الفراسة. قال الجاحظ في البيان والتبيين: (وجملة القول في إياس أنه كان مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة، وكان رقيق البدن رقيق المسلك في الفطنة وكان صادق الحدى نقابا وعجيب الفراسة ملهما وكان عفيف الطعم كريم المدخل والشيم وجيها عند الخلفاء مقدما عند الأكفاء^(٢)). ومن فراسته: أنه تقدم إليه أربع نسوة فقال إياس أما إحداهن فحامل والأخرى مرضع والأخرى ثيب والأخرى بكر، فنظروا فوجدوا الأمر كما قال، قالوا: وكيف عرفت؟، فقال: (أما الحامل: فكانت تكلمني وترفع ثوبها عن بطنها فعرفت أنها حامل، وأما المرضع: فكانت تضرب ثديها فعرفت أنها مرضع، وأما الثيب: فكانت تكلمني وعينها في عيني فعرفت أنها ثيب، وأما البكر: فكانت تكلمني وعينها في الأرض فعرفت أنها بكر....)^(٣).

هذا وما أوردناه من نماذج تدل على أن الفراسة تمتع بها الكثير والكثير وهي أمر لا يمكن إنكاره أو تجاهله، وينبغي ألا نتوسع في ضوابطه، لكن لا يدعونا هذا إلى أن ننكره أو نتجاهله أو ندعى عدم وجوده، فالأدلة والواقع يؤكدان وجود الفراسة في كل زمان ومكان .

المطلب الثاني: نماذج لقصور النظر والفضائل السياسي للإخوان:-

الفرع الأول: اعتراف مفكري الإخوان باختراق الماسونية لجماعتهم:-

قال محمد الغزالي عن تولى المستشار حسن الهضيبي لمنصب المرشد العام للجماعة: (استقدمت الجماعة رجلا غريبا عنها ليتولى قيادتها وأكاد أوقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذا حالها وصنعت ما صنعت، ولقد سمعنا كلاما كثيرا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان ولكني لا أعرف بالضبط كيف

(١) الطرق الحكيمة ٤٤/١.

(٢) البيان والتبيين ٦٩/١.

(٣) الطرق الحكيمة ٣٥/١.

استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تختنق جماعة كبيرة على النحو التي فعلته، وربما كشف المستقبل أسرار هذه المأساة^(١).

وهذا الاعتراف الصريح من الإخواني البارز محمد الغزالي أحد أقرب الشخصيات لحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان ثبت الآن صدقه، ففي دراسة حديثة تحمل عنوان (الماسونية والماسون في مصر) صدرت في كتاب عن سلسلة مصر النهضة بدار الكتب للباحث وائل إبراهيم الدسوقي جمع فيها الباحث تاريخ الحركة الماسونية في مصر واسم مشاهير الماسونيين المصريين جاء اسم المستشار حسن الهضيبي بينهم، هذا الرجل بادر الثورة بالعداء، وقبل قيام الثورة جبن وخاف وعندما طلب منه الرئيس عبد الناصر دعم الثورة عند اندلاعها رفض طلبه، وبعد الثورة طلب الوصاية عليها وأن تحكم جماعة الإخوان المسلمين البلاد، وعندما رفض عبد الناصر سعى الهضيبي لتخريب كل محاولات رأب الصدع بين الثورة والجماعة.

ولكن ليس حسن الهضيبي هو الماسوني الوحيد من رموز الإخوان بل إن سيد قطب شخصياً كان ماسونياً وقد ورد اسمه في نفس الدراسة السابقة عن الماسون في مصر.

لقد كتب محمد الغزالي في كتابه: (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث) (أن سيد قطب منحرف عن طريقة حسن البنا، وأنه بعد مقتل حسن البنا وضعت الماسونية زعماء لحزب الإخوان المسلمين، وقالت لهم: ادخلوا فيهم لتفسدوهم، وكان منهم سيد قطب).

وللأسف الشديد قام محمد الغزالي بحذف تلك الفقرات من كتابه في طبعاته اللاحقة تحت ضغط قادة جماعة الإخوان المسلمين، ولكن النسخ المتوفرة من الكتاب طبعة عام ١٩٦٣م، وهي موجودة ومتداولة تحتوي تلك الاعترافات عن حسن الهضيبي وسيد قطب^(٢).

ويعترف سيد قطب لصديقه الكاتب سليمان فياض أنه ظل لمدة ١١ عاما ملحدا، وفي عام ١٩٣٤م نشر سيد قطب في الأهرام مقالا يدعو فيه للعري التام، وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، وقد انضم سيد قطب إلى اخف الماسوني الأكبر في مصر، وكان يكتب بعض مقالاته الأدبية في جريدة ماسونية هي التاج المصري، لسان حال اخف الأكبر الماسوني المصري^(٣).

(١) من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية، ١٩٦٣م.

(٢) ينظر: التيارات الإسلامية التي سيطرت على الثورات العربية وعلاقتها بالصهيونية للدكتور عبدالاله الراوي، مقال بتاريخ

<http://iraqrawi.blogspot.com> ٢٠١١/١١/٤

(٣) السابق.

الفرع الثاني: اعتراف مفكري الإخوان باختراق المخابرات المعادية لجماعتهم، وتجنيدها

لأعضاء بارزين في الجماعة:-

مما يدعو إلى العجب في أمر هذه الجماعة أن مفكري الإخوان قد اعترفوا بأن المخابرات المعادية اخترقت صفوف الجماعة، ومن ذلك أن البنا قد وجه رسالة إلى شيخ الأزهر يدعوه فيها إلى تبليغ ألمانيا وإيطاليا واليابان بالإسلام مع إمدادهم بالعلماء لشرح مفهوم الإسلام^(١).

ولمزيد من تعزيز فكرة الموالة للمحور الديكتاتوري (ألمانيا، إيطاليا، اليابان) التي أعجب بها البنا نشرت جماعة الإخوان شائعة مثيرة للسخرية، وهي أن هتلر شخصيا قد أشهر إسلامه، وقام بالحج سرا، وأسمى نفسه الحاج محمد هتلر^(٢).

فمثل هذه المبالغات الفجة أدت إلى لفت الأنظار إلى هذه العلاقة الخاصة ففي لقاء بين السير (والتر سمارت) المستشار الشرقي للسفارة البريطانية مع وكيل وزارة الداخلية المصرية حسن باشا رفعت أفاد وكيل الوزارة بأن معلوماته تقول:

(إن الأستاذ البنا قد تلقى إعانات مالية من الإيطاليين والألمان والقصر، ينقل الأستاذ محسن محمد هذه الرواية في كتابه (من قتل حسن البنا) وقد نقل هذه المعلومات وغيرها عن وثائق أرشيف الخارجية البريطانية)^(٣).

وما كان لنا أن نسوق اتهاما غليظا كهذا نقلا عن وشاية من أحد رجال الأمن لمثل السفارة البريطانية، لولا أن الأرشيف البريطاني يحتوي على وثائق أخرى تصب في ذات الاتجاه.

فهناك برقيتان من السفير البريطاني إلى وزير خارجيته تحتويان على ترجمة إنجليزية لوثائق بالألمانية عثر عليها عند تفتيش مسكن مدير مكتب الدعاية الألماني بالقاهرة^(٤).

ولا شك أن قبول هذه البرقيات، وتلقي الإعانات المالية التي قبلها البنا لكفيل بأن يمنح المخابرات المعادية حرية اختراق صفوف الجماعة، وتجنيد بعض أعضائها البارزين للانتظام في سلك هذه المخابرات، وهو بلا شك أمر خطير.

ومن جند من الإخوان البارزين، واستغل مخابرات الأعداء نشاطه سيد رمضان زوج ابنة حسن البنا الذي كان بمثابة السفير غير الرسمي للإسلاميين، والمولود في شبين الكوم إحدى قرى مصر، والذي اشتهر بنشاطه مع الإسلاميين المتشددین خاصة في فلسطين والأردن، وهو صاحب الزيارة الشهيرة للمكتب البيضاوي في البيت الأبيض في عام ١٩٥٣م، ولعل أجندة سيد رمضان

(١) ينظر: مجلة النذير ٤ ذي القعدة ١٣٥٧، العدد (٣٠).

(٢) جريدة المصري اليوم العدد ١١٧١ بقلم جمال الشاعر ٢٨/٨/٢٠٠٧.

(٣) من قتل حسن البنا، أ. محسن محمد، ص (٨٨).

(٤) مكتب الأمن العسكري، مصر.

تؤكد حساسية دوره حيث كان عنصرا أساسيا في كل مظاهر تطرف الإسلام السياسي^(١).
والأدلة التي تشير إلى تجنيد الاستخبارات الأمريكية لسيد رمضان ليست دامغة، إلا أن حضوره لندوة برنستون ترسخ احتمال تجنيده بشكل كبير.

الفرع الثالث: إفلات سيطرة المرشد العام على النظام الخاص:-

النظام الخاص لدى جماعة الإخوان المسلمين أسسه حسن البنا، ويعد هذا النظام أداة رادعة منظمة، وأفراد هذا النظام قد تم اختيارهم من (جهاز الجواله) أحد أجهزة الجماعة وأنشطتها، وقد قام بتسليحهم وتدريبهم على القتال لكي يستخدمهم في مناهضة الإنجليز ومقاتلة اليهود في فلسطين.

إلا أن هذا النظام الخاص الذي كان يضم شبابا مدربين على القتال قد استغلوا ذلك استغلالا سيئا مشبوها، ومن ثم لم يستطع السيطرة عليهم؛ بل كان هؤلاء الشباب شرا على الجماعة فيما بعد، فقد قتل بعضهم بعضا، وصاروا أداة مخربة في أيدي الجبهة والحمقى الذين ليس لديهم فقه، وهؤلاء قال فيهم حسن البنا قبل موته: (إنهم ليسوا إخوانا، وليسوا مسلمين)^(٢).

وقد اتهم الإخوان المسلمون بمحاولة نسف مكتب الادعاء العام، وقد ذكرت الصحف أن مرتكب هذا الحدث من الإخوان، وقد شعر البنا أنه من الواجب أن يعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله من الجرائم لا يمكن أن يكون من الإخوان، ولا من المسلمين؛ لأن الإسلام يحرمها ويرفضها، والأخوة الإنسانية تأبأها وترفضها.

ومن المرجح؛ بل من المحقق أنه إنما أراد به أن يتحدى الكلمة التي نشرت قبل ذلك بيومين تحت عنوان (بيان للناس): ولكن مصر الآمنة لن تروعا هذه المحاولات الآثمة، وسيتعاون الشعب الحليم الفطرة مع حكومته الحريصة على أمنه وطمأنينته في ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة.

وليعلم أولئك الصغار من العابثين أن خطابات التهديد التي يبعثون بها إلى كبار الرجال وغيرهم لن تزيد أحدا منهم إلا شعورا بواجبه وحرصا تاما على أدائه؛ فليقلعوا عن هذه السفاسف، ولينصرفوا إلى خدمة بلادهم، كل في حدود عمله إن كانوا يستطيعون عمل شيء نافع مفيد.

وهذا ما دفع البنا بقولته الشهيرة: (وإني لأعلن أنني منذ اليوم سأعتبر أي حادث من هذه الحوادث يقع من أي فرد سبق له اتصال بجماعة الإخوان موجها إلى شخصي، ولا يسعني إزاءه

(١) علاقة الإخوان المسلمين بالمخابرات البريطانية أثناء الاحتلال البريطاني، الملتقى الفتاوي.

(٢) حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ ص(٤٥٢).

إلا أن أقدم نفسي للقصاص، أو أطلب إلى جهات الاختصاص تجريدي من جنسيتي المصرية التي لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء، فليتدبر ذلك من يسمعون ويطيعون، وسيكشف التحقيق ولا شك عن الأصيل والدخيل، والله عاقبة الأمور) حسن البنا^(١).

ففي هذا الخطاب يبين حسن البنا أن هؤلاء الذين يسعون إلى الإساءة إلى جماعة الإخوان ليسوا من الإخوان ولا من المسلمين، بل من العابثين الذين يسعون إلى بث الفساد في البلاد، وإثارة الفتن والفتن بين الآمنين، وأنهم بأفعالهم الذميمة هذه ينسبون أنفسهم إلى جماعة الإخوان، وأن من يمارس هذه الجرائم ليس من الإخوان في شيء، والجماعة منه براء.

وهذا البيان يعد آخر ما كتبه البنا بيده قبل موته، وهو يردد قوله عنهم: (إنهم ليسوا إخوانا، وليسوا مسلمين).

ومن ثم فإن النظام الخاص لم يستطع المرشد العام ومؤسس الجماعة أن يسيطر عليه، بل كثر فسادهم وتخريبهم في البلاد، إذ كانوا أداة في أيدي الجهلاء الذين استغلوهم في أعمال التخريب والهدم، فصاروا معاول هدم، وأساءوا إلى جماعة الإخوان بأفعالهم ومزاعمهم^(٢).

الفرع الرابع: تلاعب جمال عبد الناصر والضباط الأحرار بالإخوان:-

إن الناظر في تاريخ الإخوان المسلمين الحقيقي ليجد أنه يمثل الفشل السياسي بجميع صوره وأشكاله؛ إذ إن الإخوان قد جعلوا من أنفسهم مطايا للضباط الأحرار؛ ليصل الضباط من خلالهم إلى الحكم؛ وذلك لأن كثيرا من الضباط الأحرار كانوا إخوانا، فنقل فكر الإخوان من تنظيم سرية وغيرهما إلى جماعة الضباط الأحرار، فما كان من الجماعة الأخيرة إلا أن امتطوا حركة الإخوان المسلمين للوصول إلى ما يريدون من السيطرة على زمام الأمور.

ويرجع تاريخ الضباط الأحرار إلى ما قام به حسن البنا المرشد الأول ومؤسس حركة الإخوان المسلمين من تكوين ما يسمى بـ(الجهاز الخاص) أو (التنظيم السري) عام ١٩٣٨م فقد انتقى مجموعات من الشباب جعلت ولاءها وانصياعها لدعوته، واستبشر بهم البنا خيرا، ورأى لديهم الشباب والحيوية والقدرة على البذل والتضحية.

فلما تم اختيار مجموعة (الضباط الأحرار) لتخطيط عملية التغيير والانقلاب ضد النظام الملكي في مصر كان انضمامهم إلى حركة الإخوان المسلمين وهي كبرى الحركات في ذلك الوقت وأكثرها قدرة على معاونة الضباط على ما تم تخطيطه لهم أمرا سهلا، فقد انضم جمال عبد الناصر، وعبد المنعم عبد الرؤوف، وأبو المكارم عبد الحفي، والصباغ محمود لبيب سنة ١٩٤٢م إلى حركة

(١) حسن البنا، متى... كيف... لماذا؟، ص(١٥٢، ١٥٣).

(٢) حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ ص(٤٥٢).

الإخوان المسلمين لتكوين الجهاز الخاص للإخوان في الجيش.

فلما قاد الضباط الأحرار وعلى رأسهم جمال عبد الناصر ثورة (١٩٥٢م) نجحت الثورة المصرية وأيدتهم حركة الإخوان المسلمين ضد جميع الأحزاب المعارضة؛ لأن الإخوان اعتقدوا أن الجو قد خلا لهم، وأن أعداءهم أخرجوا من الحلبة السياسية، إلا أن حركة الضباط الأحرار قد انقلبت على الإخوان^(١).

وقد حدثت اتهامات كثيرة بين الضباط والإخوان، غير أن الأمر لم يقتصر على الانقلاب الذي حدث من الضباط على الإخوان في مصر، بل تعددت سلسلة الانقلابات من الثوار ضد حاكميهم في كل من العراق وسوريا وغيرهما من البلدان العربية، فالإخوان المسلمون لا يزالون يمثلون التراجع السياسي في البلاد إلى يومنا هذا.

ومن ثم يتبين لنا أن عبدالناصر الذي كان إخوانياً تخلى عن الحركة الإخوانية بعد تكوين حركة الضباط الأحرار، وانقلب ضد الإخوان منفرداً بزعامة الحركة الجديدة، وكذا زعامته لقيادة الثورة.

الفرع الخامس: كثرة الانشقاقات على الجماعة:-

لقد كانت جماعة الإخوان تتصف بمواصفات جعلتها جماعة قلقة مما أدى إلى فرار الكثير منها، فقد رأى هؤلاء الفارون أنهم لم يحققوا مآربهم حين انضموا إليها، طائنين الوصول من خلالها إلى كرسي الحكم، وتحقيق أغراض أخرى؛ لذا فقد أدت هذه الشبهات التي أحاطت بالجماعة إلى أن تكثر فيها الانشقاقات وتعدد الانقسامات، فمن الانشقاقات التي أصابت جماعة الإخوان:

١ - انشقاق الإسماعيلية (إذ حدث انقسام شديد بين أفراد الجماعة مما أدى إلى أن ينتقل حسن البنا إلى القاهرة).

٢ - انشقاق شباب محمد ٣، وكان ذلك سنة ١٩٣٩م، هؤلاء الشباب الذين انشقوا عن جماعة الإخوان معتقدين أن الجماعة بها انحراف وخروج عن المبادئ التي وضعتها لها، مما عمل على افتراقهم عن صفوف الجماعة مكونين جماعة، أو فرقة أسموها (جماعة شباب محمد).

٣ - الانشقاق الذي حدث عام ١٩٤٧م، وكان هذا الانشقاق نتيجة فضيحة صهر حسن البنا وسكرتيره عبد الحكيم عابدين، إذ استغل سلطته في الاعتداء على حرمة بيوت الإخوان وأعراضهم.

٤ - حدوث انشقاق كبير وسط الإخوان المسلمين في سوريا^(٢).

(١) جريدة الموجز العدد (٢٣٦١٥) تفاصيل انقلاب العسكر علي الجماعة بقلم ياسر بركات رئيسي التحرير ٢٠١٢/٤/١٤.

(٢) ينظر سلسلة مقالات الإخوان والانتهازية السياسية للاستاذ عبدالرحيم علي بجريدة الاهرام المسائي عدد (١٧٣٩٦) بتاريخ

٢٠١٠/٨/٣١.

ذكر ذلك منظر الجماعة سعيد حوى فقال: (وكانت الجماعة خارجة عن انقسام خطير وانشقاق كبير، ولا غرابة فإن أصوات النقد كانت تلقى آذانا صاغية، لكثرة الثغر، والمناخ المساعد، والأجواء الخارجية الضاغطة)^(١).

ولعل كثرة الانشقاكات التي حدثت لجماعة الإخوان يرجع إلى أن التركيب التنظيمي للجماعة كان هشاً، والمتسبون للجماعة كانوا أخلاطاً، والجماعة ليست قادرة على صهرهم في بوتقتها.

بل لقد تأثرت الجماعة الإخوانية كثيراً بالدخلاء عليها الذين غيروا سيرها ومناهجها، فأحدث ذلك خللاً في صفوف الجماعة؛ بل قد ضاعف من وجود الخلل في الجماعة إصابة الشعب المصري بتعدد الأحزاب.

وقد مرت بمؤسس الجماعة ومرشدها الأول حسن البنا ظروف جعلته يختار معاونين الأوائل له على أساس الكفاية العادية أو الضعيفة إذا صاحبها التفاني والإخلاص في الدعوة والقيادة، إذ إنما أجدر بالحفاوة من الكفاية الخارقة التي تفتقد للتفاني والإخلاص للقائد ودعوته.

ولعل السر في هذا المسلك الذي اتخذه البنا يتمثل في تحوفه من الانشقاكات التي كادت تهر بل هزت كيان الجماعة وعرضتها للتلاشي، ثم إيمانه المطلق بأن كفايته الضخمة، ستكون مدداً قوياً ودافعاً وراء كل رجل من رجاله المقربين.

وقد أدت الانشقاكات إلى تشكيل حركة الضباط الأحرار التي انقلبت بدورها على جماعة الإخوان، بل وصل الأمر إلى أن يتلاعب كبار قادة الثورة بالإخوان المسلمين.

الفرع السادس: تخطيط الإخوان في موقفهم من الحكم بين التكفير تارة والتزلف أخرى:

من مبادئ فكر الإخوان المسلمين تكفير حكام المسلمين والخروج عليهم ممثلين قول أحد مؤسسي فكرهم حيث يقول: (... لعلك تبينت مما أسلفنا آنفاً أن غاية الجهاد في الإسلام هي قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها، وهذه مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام غير منحصر في قطر دون قطر بل ما يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة، هذه غايته العليا ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها)^(٢).

(١) ينظر: سعيد حوى، هذه تجربتي وهذه شهادتي، ص (٣٤).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار الشروق (١٤٥١/٣).

أليست هذه دعوة خروج وثورة صريحة على ولاية الأمر في كل قطر من أقطار الأرض غير منحصر في قطر دون قطر، أصلها وأكدها وقتل من أجلها إمامهم وشهيد فكرهم فما رأي تلاميذ قطب في مجتمعنا وما تأويلهم لهذا النص الكريم لحسن البناء؟ ألا يعتقدون صحة هذا القول لإمامهم ووجوب العمل به؟

والحق في قراءة النص الإخواني في أدبيات البناء وممارسته السياسية، يمكن للقائلين بمسار العنف ضد الأنظمة أن يجدوا ما يريدون، كما يمكن للقائلين بالمهادنة أن يجدوا مرادهم أيضا. وما قاله مرشدهم محمد بديع في حوار أجراه التلفاز المصري في قناة دريم في برنامج العاشرة مساء أن الإخوان يتعاملون مع مبارك في منصبه كرئيس كوالد لكل المصريين، مبررا أن هذا الأمر نابع عن احترام الجماعة لموقع الرئاسة قائلا: (احترامنا لموقع الرئاسة نابع من أن المصريين يحرسون على أن يكون رئيسهم شخصية محترمة؛ لهذا نطالبه بأن ينظر إلى أبنائه في السجون الذين ظلمتهم أجهزته الأمنية).

وتصريحات مرشد جماعة الإخوان عن الرئيس مبارك بأنه والد لكل المصريين لم تختلف عما يروجه الإعلام الحكومي وكتبة النظام في الصحف القومية الذين ينافقون الرئيس ليل نهار ويدعون أنه والد لكل المصريين.

ويرى طارق السويدان أنه يجوز للمسلمين أن يخرجوا على الحاكم إذا لم يرض الشعب به قال وهو يعدد مقاصد الجهاد: (الجهاد ضد الكفر، في حالة حكم بلاد المسلمين من قبل حاكم لم يصل للحكم بطريقة شرعية (من خلال رضا أغلبية الأمة وبيعهم له) أو حاكم يحكم بغير شرع الله U في الأمور الأساسية (العقيدة السلمية، وإقامة الفروض والحدود، والاستقلالية عن التبعية لأعداء الإسلام) فيجب الجهاد المعنوي لإصلاحه أو تغييره، ويجوز القتال لتغييره)^(١).

وخلاصة الأمر أن الخروج على الحاكم خروج على الشرعية الإسلامية وقد تقدم بيان ذلك مفصلا وأنه من المخطورات الشرعية التي ينبغي تجنبها بالمرّة، سدا لأبواب الفتن ومنعا للشُرور وطرقها.

قال ابن القيم (رحمه الله): في تأصيل قاعدة سد الذرائع (الوجه الثامن والتسعون: هي النبي عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة وإن ظلموا أو جاروا ما أقاموا الصلاة، سدا لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن)^(٢).

(١) المرجع: جريدة المدينة—يوم الأربعاء ١١/٢٢/١٤٢٤هـ. العدد رقم: ١٤٨٧٥، عمود: قوالب فكرية، الكاتب: د. طارق

السويدان، العنوان: قانون الجهاد.

(٢) إعلام الموقعين (١٥٩/٣).

ويقول أيضا (رحمه الله): في النهي عن إنكار المنكر إذا كان يلزم منه ما هو أنكر منه: (وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وهو إنكار المنكر إذا كان يترتب عليه ما هو أنكر منه، ومن عدم الصبر على المنكر، فيطلب إزالته، فيتولد منه ما هو أكبر منه)^(١).

ومن هنا ألزمت الشريعة الحاكم بتقوى الله U في كل أموره، وبالسعي في جلب مصالح الأمة ودرء المفاسد عنها، وأوجبت على الرعية طاعة الحاكم في غير معصية الله، وعدم الخروج أو الافتيات عليه، بل له في الشريعة الدعاء والنصح الصادق برفق ولطف، مع المعاونة له على الحق. الفرع السابع: تخبط الإخوان في موقفهم من الأحزاب والتنظيمات السياسية:-

لقد كان لجماعة الإخوان في بداياتهم موقف شديد من الأحزاب وقد بينوا أنهم ليسوا حزبا وهاجموا الأحزاب واعتبروها فرقة للأمة .

قال البنا: في رسالة المؤتمر الخامس^(٢) (الإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعا قد وجدت في ظروف خاصة، ولدواع أكثرها شخصي لا مصلحي، ويعتقدون كذلك أن هذه الأحزاب لم تحدد برامجها ومناهجها إلى الآن، فكل منها يدعي أنه سيعمل لمصلحة الأمة في كل نواحي الإصلاح، ولكن ما تفاصيل هذه الأعمال، وما وسائل تحقيقها؟ وما الذي أعد من هذه الوسائل، وما العقبات التي ينتظر أن تقف في سبيل التنفيذ، وماذا أعد لتذليلها؟ كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الأحزاب وإدارات الأحزاب، فهم قد اتفقوا في هذا الفراغ، كما اتفقوا في أمر آخر هو التهالك على الحكم، وتسخير كل دعاية حزبية، وكل وسيلة شريفة وغير شريفة في سبيل الوصول إليه، وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه).

ويكمل قائلا: (ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الآثار).

ويقول في رسالة المؤتمر السادس:- (أما إننا سياسيون حزيون نناصر حزبا ونناهض آخر، فلسنا كذلك ولن نكون، ولا يستطيع أحد أن يأتي على هذا بدليل أو شبه دليل).

وأما إننا سياسيون بمعنى أننا نهتم بشئون أمتنا، ونعتقد أن القوة التنفيذية جزء من تعاليم الإسلام تدخل في نطاقه، وتندرج تحت أحكامه، وأن الحرية السياسية والعزة القومية ركن من

(١) المصدر السابق: (٤/٣).

(٢) مجموع رسائل الإمام البنا، ص(٣٦٨).

أركانه، وفريضة من فرائضه فهذا هو المعروف عند كل مسلم درس الإسلام دراسة صحيحة^(١).
ويضيف قائلاً: (لا خلاف بين الأحزاب المصرية إلا في مظاهر شكلية وشئون شخصية لا يهتم لها الإخوان المسلمون، ولهذا فهم ينظرون إلى هذه الأحزاب جميعاً نظرة واحدة، ويرفعون دعوتهم وهي ميراث رسول الله ﷺ فوق هذا المستوى الحزبي كله، ويوجهونها واضحة مستنيرة إلى كل رجال هذه الأحزاب على السواء، ويودون أن لو أدرك حضراتهم هذه الحقيقة، وقدروا هذه الظروف الدقيقة، ونزلوا على حكم الوطنية الصحيحة، فتوحدت كلمتهم، واجتمعوا على منهاج واحد تصلح به الأحوال وتحقق الآمال، وليس أمامهم إلا منهاج الإخوان المسلمين، بل هدى رب العالمين).

قال الله ﷻ (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)^(٢)، ونحن لا نهاجمهم؛ لأننا في حاجة إلى المجهود الذي بذل في الخصومة والكفاح السلي لننفضه في عمل نافع وكفاح إيجابي، وندع حسابهم للزمن، معتقدين أن البقاء دائماً للأصلح.

قال الله ﷻ (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧))^(٣).

قال البنا في (رسالة بين الأمس واليوم): (أيها الإخوان، أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئة موضوعية لأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يسرى في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن)^(٤).

هذا مجمل نظرة الإخوان إلى قضية الحزبية والأحزاب في مصر على لسان المرشد الأول حسن البنا، وقد كان من الطبيعي أن يبتعد الإخوان عن الأحزاب التي هاجمها ورأوها مخالفة للشرع الحنيف غير أننا وجدنا الإخوان يتحالفون مع بعض الأحزاب العلمانية أو الليبرالية وليس أدل على هذا من تحالفهم في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير مع حزب الوفد الليبرالي من أجل التنسيق في الانتخابات البرلمانية في سبتمبر ٢٠١١م^(٥).

(١) مجموع رسائل الإمام البنا، ص (٤٤٦).

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٣.

(٣) مجموع رسائل الإمام البنا، ص (٤٤٩).

(٤) السابق، ص (٥٢٩).

(٥) ينظر الإخوان يفاوضون الوفد لتشكيل أغلبية ائتلافية، جريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٠١٢/١/١٣.

ومن قبل هذا قامت جماعة الإخوان المسلمين المتمثلة في حزب التجمع اليمني للإصلاح بإنشاء مجلس تنسيق مشترك لقوى المعارضة اليمنية، تطور فيما بعد إلى مجلس معارضة مشترك وله قائمة موحدة في الانتخابات المختلفة: الرئاسية والبرلمانية والمحلية.

والغريب في الأمر أن هذا المجلس مكون من خليط غير متسق عقديا ولا فكريا ولا منهجيا في السياسة أو الاقتصاد أو النواحي الاجتماعية.

وهذه الأحزاب تختلف اختلافا بينا مع الشريعة الإسلامية بل نادى الأحزاب المصرية بإقصاء الشريعة من حياة الناس وعلى رأس هؤلاء ما يسمى بالوفديين الذين يرشحون كثيرا من الإخوان على قائمتهم في الله المشتكى.

على أنه ينبغي أن نشير إلى أن جماعة الإخوان قد تغير موقفها من مسألة الأحزاب ولم يعد هو موقف المرشد حسن البنا الرافض لها بدليل إقدامهم على إنشاء حزب الحرية والعدالة في مصر بعد الثورة وإذا كان إنشاء الإخوان لهذا الحزب السياسي في مصر بعد الثورة أمرا قد يكون له ما يبرره من وجهة نظرهم من حيث العمل على تواجده التيار الإسلامي على الساحة وعدم تركها للعلمانيين؛ فإنه لا يمكن أن يكون مقبولا أن يشتمل هذا الحزب على أمور تخالف شريعة الله، وكذلك غير مقبول أن يتحالف الإخوان مع الأحزاب المخالفة للإسلام، والله أعلم.

المبحث الخامس: إطلاق الدعوات الضالة:-

المطلب الأول: دعوة الإخوان إلى خروج المرأة والرد عليها:-

دعا الإخوان المسلمون إلى خروج المرأة ومزاحمتها للرجال في العمل وفي الدرس وفي الجامعات، ومن دعا إلى هذا جبهة الإخوان المسلمين منهم: عبد المجيد الزنداني فقد دعا إلى إنشاء مجلس لشيخات اليمن، وقد وقع كثير من علمائهم، منهم: محمد بن إسماعيل العمراني، على خروج المرأة للتصويت في أعمال الانتخاب^(١)، وهذا يصطدم مع شرع الله ﷻ كتابا وسنة.

أما الكتاب الكريم :-

قال الله ﷻ (وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(٢).

وقال الله ﷻ : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ

(١) الإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (١١٥).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢٨).

وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا^(١)، وقال تعالى (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)^(٢).

قال القرطبي (رحمه الله): (معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، كيف والشرعية طافحة بلزوم النساء في بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة)^(٣).

وفحوى الآيات السابقة تدل على أن القوامة والقيادة للرجل، وعلى أن القاعدة في أمر المرأة هو قرارها في دارها وتفرغها لبيتها وأولادها، وأما خروجها إلى المجتمع فهو من باب الاستثناء أو الضرورة وهي تقدر بقدرها، فخرج المرأة للانتخاب واشتراكها في النشاطات السياسية لا تدعو إليه ضرورة، ولا تتوقف عليه مصلحة حقيقية كلية، ويتناقض مع قوامة الرجل وعلو درجته في القيادة عليها^(٤).

وأما السنة المطهرة :-

ما ثبت أن النبي ﷺ لما بلغه أن فارساً أمروا ابنة كسرى عليهم قال "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"^(٥).

فهذا الحديث يدل على أن مناط عدم الفلاح هو الأنوثة، وهو نص في منع المرأة من تولي أي من الولايات العامة، وكونها ناخبة إنما هو من الولايات العامة^(٦).

إن رعاية الأسرة من أهم واجبات المرأة، وهو واجب لا يمكن للمرأة الوفاء به إذا انشغلت بأمور الانتخابات أو انغمست بميادين العمل في السياسة^(٧).

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال "ما تركت بعدي فتنة أضرب على الرجال من النساء"^(٨).

قال بن حجر العسقلاني (رحمه الله): (وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن،

(١) سورة النساء الآية (٣٤).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧٩/١٤).

(٤) الشورى في الإسلام: د. حمد الكبيسي (١٠٨٥/٣).

(٥) تقدم.

(٦) الشورى في الإسلام: د. حمد الكبيسي (١٠٨٦/٣).

(٧) الشورى في الإسلام (١٠٨٦/٣).

(٨) أخرجه البخاري (٤١/٩) كتاب النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٠٩٧/٤)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء، وبيان الفتنة بالنساء (٩٧ - ٢٧٤٠).

ويشهد قوله تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (١)، فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أهمهن الأصل في ذلك (٢).

فهذا الحديث يبين أن أشد الفتن ضررا على الرجال هي فتنة النساء، والطباع غالبا تميل إلى النساء، وتقع في الحرام لأجلهن.

وعن أبي سعيد الخدري t عن النبي r قال: "اتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء" (٣).

(اتقوا النساء): أي احذروا أن يكن سببا في وقوعكن في المنهيات.

وفي هذا الحديث يأمر النبي r الرجال بتجنب الافتتان بالنساء، ويذكر أن أول ما افتتن به بنو إسرائيل هن النساء، وقد حذر النبي r أمته كثيرا من إتباع سنن الأمم السابقة، فمن باب أولى أن نجتنب نحن هذه الفتنة، ونحاول الابتعاد عنها، ونسد المنافذ التي تؤدي إليها، ومن الحمق تجريب الجرب، كما تقول العرب، وليس المراد اعتزال النساء، بل المقصود اتقاء الفتنة المؤدية إلى المخطور.

إن هذا التحذير ليس فيه إهانة للمرأة، أو تقليل من شأنها، بل هذا بيان لعظيم تأثيرها في مجتمعها ومن حولها، فإن النفوس جبلت على التعلق بالمرأة والميل إليها، فإذا صلحت كانت خير ما يكتنزه المرء، فهي الزوجة الصالحة، والأم المربية، والأخت الحنون، والبنت البارة، والداعية المصلحة، والناصحة المرشدة، والمتحجة العفيفة، ولكنها إذا فسدت وتبرجت وسفرت كانت فتنة وبلاء على كل من حولها، ففسدت أسرقها وفسد مجتمعها، وحل به الشقاء، والأمراض الجسمية والنفسية والاجتماعية، وتفككت روابطه، ونزلت به صنوف الأذى والعذاب.

إن فتنة المرأة هي أن تفقد حيائها ودينها، وأن تكسر الحواجز التي وضعها الشرع بينها وبين الرجال، فتخضع بالقول، وتلقي حجابها، وتظهر مفاتها.

وعن عبد الله بن مسعود r عن النبي r قال: "المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان" (٤).

(١) سورة آل عمران الآية: ١٤.

(٢) فتح الباري (١٣٨/٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٩٨/٤)، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٩٩ - ٢٧٤٢)، وعزاه في التحفة للنسائي في الكبرى (٤٦٣/٣) (٤٣٤٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٤٦٣/٢) كتاب الرضاع (١١٧٣) وابن خزيمة (١٦٨٥)، (١٦٨٦)، (١٧٨٧) وابن حبان (٥٥٩٨)، (٥٥٩٩) والطبراني في الكبير (١٠١١٥) من حديث ابن مسعود.

علق الشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري على الحديث بقوله: (وجعل المرأة عورة؛ لأنها إذا ظهرت يستحي منها كما يستحي من العورة إذا ظهرت)^(١)، ومعنى العورة: كل مكنن للستر وهي كل ما يستح منه إذا ظهر^(٢)، ومعنى قوله: (فإذا خرجت): أي إلى الطريق، أو خارج منزلها وخدرها، (استشرفها): أصل الاستشراف: أن تضع يدك على حاجبك وتنظر^(٣). استشرفها الشيطان: أي نظر إليها ليغويها ويغوي بها^(٤).

هذا الحديث يدل على أن الأصل للمرأة هو الستر والقرار في البيت، وأنها إذا خرجت فإن الشيطان يترصد بها ليغري بها الرجال، والمرأة من أعظم وسائل الشيطان في الإغواء والفتنة، فيجب على المرأة أن تقطع الطريق على الشيطان في استغلالها للفتنة، وذلك بسد المنافذ المؤدية إلى ذلك، من التبرج، وإظهار المفاتن، وكثرة الخروج إلى ما لا ضرورة منه، أو ذهابها إلى الأماكن التي يزيد فيها احتمال الافتتان بها، وإذا كان لا بد من خروجها فيكون بالشروط التي حددها الشارع، تقضي حاجتها وتعود سريعا إلى خدرها.

إن التصور الإسلامي الواعي وضوابط الشرع الحنيف تدعو الرجل أن يدرك أن الشيطان يترصد بالمرأة لإغوائها والإغواء بها، فيجب عليه أن يتعامل معها ضمن ضوابط الشرع ولا يترك مجالا لدخول الشيطان إليه من استرسال مع المرأة في الحديث أو خلوة بها أو نحو ذلك مما حرمه الشرع، ولا يتجاوز الحدود التي وضعها الشرع، وقد يظن البعض أن هذا الأمر فيه تكلف وتنطع، ولكن من نشأ على الحياء والعفة وغض البصر يدرك معنى هذا الكلام وسهولته، وإمكانية تطبيقه، وإن الإسلام يريد بهذا الحديث أن يكون المجتمع طاهرا نظيفا بعيدا عن الأمراض والفتن، فبين له حاجة المرأة إلى الستر والصون، وضرورة إبعادها عن مواضع التهم والفتن.

عن جابر ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه"^(٥).

قال النووي (رحمه الله): (قال العلماء: تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله ﷻ في نفوس الرجال من الميل إلى النساء،

(١) تحفة الأحوذى (٢٨٣/٤).

(٢) لسان العرب (٦١٧/٤).

(٣) السابق، (١٧١/٩).

(٤) تحفة الأحوذى (٢٨٣/٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٠٢١/٢) كتاب النكاح، باب: ندب من رأى امرأة فوقع في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها، برقم

(١٤٠٣/٩).

والالتذاذ برؤيتهن، وما يتعلق بهن فهي شبيهة بالشیطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له^(١).

وهذا الحديث يكمل الحديث الماضي في الأمر بغض البصر عن المرأة، والتوجيه فيما إذا زين الشيطان امرأة في نظر الرجل فتحركت نفسه، فأرشده النبي ﷺ إلى التصرف الصحيح. قال النووي (رحمه الله): (قال العلماء ومعنى الحديث أنه يستحب لمن رأى امرأة فتحركت شهوته أن يأتي امرأته أو جاريتها إن كانت له، فليواقعها ليدفع شهوته، وتسكن نفسه ويجمع قلبه على ما هو بصدده)^(٢).

ومما يؤكد أن المرأة لا تخرج من بيتها إلا لضرورة، ومن ذلك ما روي عن عائشة أنها قالت: (خرجت سودة بعد ما ضرب عليها الحجاب لتقضي حاجتها، وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء جسما لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى، وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت فقال لي عمر: كذا وكذا، قالت: فأوحي إليه ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه فقال: "إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكين")^(٣).

وقالت لجنة كبار علماء فتوى الأزهر: (هذه قصة سقيفة بني ساعدة في اختيار الخليفة الأول بعد الرسول ﷺ قد بلغ فيها الخلاف أشده ثم استقر الأمر لأبي بكر وبويع بعد ذلك البيعة العامة في المسجد، ولم تشترك امرأة مع الرجال في مداولة الرأي في السقيفة ولم تدع لذلك، كما أنها لم تدع ولم تشترك في تلك البيعة العامة)^(٤).

كما أن النساء لم يشاركن في اختيار الإمام لا في مبايعة الخلفاء في العصور الأولى من الإسلام ولا سيما عصر الخلفاء الراشدين^(٥).

وعملية خروج المرأة تستلزم اختلاط المرأة بالرجال مما قد يعرض المرأة فيه لأنواع من الشر والأذى، وإن هذا يقتضي عدم جواز إسناد الولاية العامة لها كالاقتراع في الانتخابات لأنه لا ضرورة لخروج المرأة للقيام بذلك^(٦).

(١) شرح صحيح مسلم (١٧٨/٩).

(٢) السابق، (١٧٨/٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٠٩/٤) كتاب السلام، باب: إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان.

(٤) الحركات النسائية، محمد عطية خميس، ص (١٠٩).

(٥) حقوق المرأة في الإسلام، محمد عرفة، ص (٢٠٥).

(٦) المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجر، ص (٤٥٠، ٤٥١).

المطلب الثاني: دعوة الإخوان إلى المساواة والرد عليها:-

الفرع الأول: مفهوم المساواة في السياسة الشرعية:-

المساواة المقصودة في السياسة الشرعية هي فيما ثبت للأفراد من الحقوق أو كلفوا به من الواجبات.

وهذا لا علاقة له البته مع ما يردده الإخوان المسلمون دائماً من جوازهم ترشيح رئاسة الجمهورية لنصراني، ومما لا شك فيه أن فقهاء المسلمين قد أجازوا لغير المسلمين أن يتولوا الوظائف العامة في الدولة إذا توافرت شروط الوظيفة فيهم إلا في بعض الوظائف التي يشترط فيها الإسلام، كرئاسة الدولة لأن صفة هذه الوظيفة تتصل بالعقيدة الإسلامية وتقوم على أساسها، فكان قصرها على المسلم سائغاً ومقبولاً ينبغي ألا يثير استغراباً ولا دهشة^(١)؛ فضلاً عن أن مفهوم هذه الولاية كتعبير عن السلطة السياسية بمعنى الصلاحية للاستقلال بالتصرف والتدبير يشير إلى أن أحد شروطها هو الإسلام، ومن ثم فإن منصب رئاسة الدولة من وجهة نظر الفقه السياسي الإسلامي هي ولاية دينية.

قال الماوردي (رحمه الله): عن هذه الولاية بألفاظها: (خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا)^(٢). إذن فإن أول واجب على القائمين بهذا المنصب في الإسلام هو الدفاع عن العقيدة كلها والشريعة الإسلامية، ناهيك عن ضرورة التزامه بمبادئ الإسلام التزاماً كاملاً، وأن يكون المثل الأعلى لأفراد المجتمع حتى تتحقق الأهداف المرجوة من قبل المحكومين وهي الانقياد والطاعة. وتسليم هذا المنصب لغير المسلمين هو تسليم توجيه السياسة الإسلامية لمن لا يؤمن بها، الأمر الذي سيكون على حساب عقيدة الدولة وعلى حساب مصالح المواطنين، كذلك نتيجة توجيه الدولة بما لا يتفق مع أيديولوجيتها^(٣)، لعدم إدراك غير المسلم لما يتطلبه الإسلام على فرض سلامة القصد منه.

ومن هنا أرى أنه إذا أمكن التساهل في بعض الوظائف لغير المسلمين، فإن منصب رئاسة الدولة لا بد من توافر شرط الإسلام فيه، ولا يعتبر إخلالاً بمبدأ المساواة، بل يكون سليماً

(١) أحكام الذميين والمستأمنين، د/عبد الكريم زيدان، ص (٧٩).

(٢) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص (٥)، والمواقف وشرحه: لعضد الدين الإيجي، ط. مطبعة السعادة، ط (١)، ١٩٠٧م (٣٥٤/٨)، وشرح المقاصد، للتفتازاني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ط. دار الكتب العلمية، ط (١)، ٢٠٠١ م، (٤٦٨/١)، ومقدمة ابن خلدون، ص (٢٤١).

(٣) الأيديولوجية: كلمة من أصل يوناني مكونة من مقطعين: أيديو بمعنى ما يتعلق بالفكر، ولوجو بمعنى العلم. فالأيديولوجية فرع من الدراسات الإنسانية التي تبحث في طبيعة الفكر ونشأة الصور العقلية عند الإنسان، ينظر: القاموس السياسي، لأحمد عطية، ط. دار النهضة العربية، القاهرة، ص (١٩٨).

دستوريا ما دام تشريع الوظيفة نفسها يستهدف تحقيق المصالح العامة للدولة^(١).

ولم يثبت في التاريخ أن أحدا من غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية انتخب رئيسا لها أو انتخب كوال أو ما يسمى بالحافظ في العصر الحديث في قطر من أقطار الدولة وذلك لأن فقهاء المسلمين اتفقوا على اشتراط الإسلام في رئيس الدولة.

قال القاضي عياض (رحمه الله): (أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لغير المسلمين، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل)^(٢).

قال الله U (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْذِ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَالِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١))^(٣). وهل هناك من سبيل أعظم من ولاية رئاسة الدولة؟.

إن فقهاء الإسلام قد بينوا أن رئيس الدولة في الإسلام له نوعان من الاختصاصات: اختصاصات دينية واختصاصات سياسية.

أما الاختصاصات الدينية فتتمثل في حفظ الدين والجهاد في سبيل الله وجباية الأموال والصدقات والقيام على شعائر الدين.

وأما الاختصاصات السياسية فتتمثل في الإشراف على الأمور العامة والدفاع عن الدولة في مواجهة الأعداء والحفاظة على الأمن والإشراف على إقامة العدل بين الناس والإشراف على الإدارة المالية^(٤).

الفرع الثاني: مفهوم المساواة عند الإخوان:-

من أقوال الإخوان المسلمين في الدعوة إلى فكرة المساواة، ما قاله سيد قطب في كتاب (دراسات إسلامية)^(٥): (إننا ندعو إلى نظام تستطيع جميع العقائد الدينية أن تعيش في ظلّه بحرية وعلى قدم المساواة.. إلى أن قال: ويكون لجميع المواطنين فيه حقوق وتبعات متساوية بدون تمييز، وأن يركز هذا كله على عقيدة الضمير لا على مجرد التشريعات والنصوص التي لا تكفي وحدها للتنفيذ السليم، إننا ندعو إلى نظام يملك جميع أجناس العالم، من سود وبيض، وحمير وصفر، أن

(١) الموظف العام فقها وقضاء، لمحمد حامد الجمل، الناشر: دار النهضة العربية، القاهرة، ط (٢)، ١٩٦٩م، ص (١٣٩٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ط. المطبعة المصرية بالأزهر، ط (١)، ١٩٣٠م، (٢٢٩/١٢). بتصرف يسير

(٣) سورة النساء الآية ١٤١.

(٤) الأحكام السلطانية: للماوردي، ص (١٥، ١٦).

(٥) ص (٨٠)، والعواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم، ص (٤٦).

تعيش في ظله بحرية، وعلى قدم المساواة، بلا تفريق بين العناصر^(١).

ففي كلام سيد قطب دعوة إلى المساواة بين أصحاب الديانات الأخرى مع المسلم، وفيه بناء على ذلك دعوة صريحة إلى وحدة الأديان، مع الادعاء الكاذب أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لا تكفي؛ فإذا كانت النصوص التشريعية من الكتاب والسنة لا تكفي، فما الذي يكفي إذا؟ الإخوان لا يتورعون عن قولهم بوقوف المسلمين إلى جوار غير المسلمين من اليهود والنصارى والمجوس على قدم المساواة، منادين باسم الوطنية في الحقوق والتبعات، وإنما لقسمة ضيزى.

وقد نادى أحدهم وهو يوسف العظم أحد المشاهير في دعوة الإخوان، دعا في ندائه إلى (أن يقف المسلم والشيوعي في المدرج الروماني في وسط عمان ليشرح الماركسي مذهبه، والمسلم معتقده، والبقاء للأفضل)^(٢).

إنها لدعوة باطلة؛ إذ كيف تبقى دعوة الماركسي وهو شيوعي قد بنى فكره على عدم وجود إله، وأن الحياة مادة، إنه زعم كاذب وادعاء باطل يتنافى مع الفطرة السليمة.

الفرع الثالث: الرد على فكرة المساواة عند الإخوان:-

لقد أخطأ الإخوان في فهم المساواة، هذه الفكرة الخبيثة التي لا تتفق مع ما جاء به الدين الحنيف، فالإسلام قد كفل للناس العدل فيما بينهم، ولكنه لم يقر مبدأ المساواة، وذلك لوجود درجات متفاوتة بين الناس، ولإقرار الدين بمبدأ النفاضل بين صنوف البشر، وقد جاء ذلك بينا في كتاب الله U وأوضحه رسول الله ﷺ، فمن الأدلة والشواهد التي تدل على فساد ما يدعون إليه من فكرة المساواة، قول الله U (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥))^(٣)، وقول الله U (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)^(٤) وقول الله U (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١))^(٥)، وقال الله U في شأن التفريق بين العلماء وغيرهم الذين لا يعلمون (أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)^(٦).

(١) ينظر: النصيحة والبيان لما عليه حزب الإخوان، يحيى بن علي الحجوري، ص (٣٧).

(٢) ينظر: النصيحة والبيان لما عليه حزب الإخوان، يحيى بن علي الحجوري، ص (٣٨)، ومجلة المجتمع الكويتية الحزبية، العدد (٩٥٦)

بتاريخ ٢٧/٤/١٩٩٠م.

(٣) سورة القلم الآية (٣٥).

(٤) سورة ص الآية (٢٨).

(٥) سورة الجاثية الآية (٢١).

(٦) سورة الزمر الآية (٩).

قال ابن القيم (رحمه الله): (لم يجز القصاص بينهم وبين المسلمين، ولا حد القذف، ولا يمكنون من تملك رقيق مسلم؛ وقد قال الله U (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمُ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)) (١)، ومن أعظم السبيل تسليط الكافر على انتزاع أملاك المسلمين منهم وإخراجهم منها قهراً؛ وقد قال الله U (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)) (٢).

وجه الدلالة من هذه الآية أنها دلت على عدم المساواة بين المؤمنين والكفار؛ لأن الآية وإن اشتملت على فعل منفي؛ وهو لا يعم إلا أنها - متضمنة لنكرة، وهي عامة - اتفاقاً - بعد النفي، فالتقدير: لا استواء بين هؤلاء وهؤلاء، ونفي التساوي بينهما يمنع من تساوي نفوسهما، وتكافؤ دمائهما) (٣).

قال الشافعي (رحمه الله): في (الأم): (إن الله فرق بين المسلمين والذميين في أحكام الدنيا؛ ألا ترى أن المسلم والكافر إذا حضرا القتال؛ أعطي المسلم نصيبه؛ وإن كان في غناء، وحرّم الكافر؛ وإن كان فقيراً اتفاقاً) (٤).

وقد أباح الله للمسلم أن يتزوج بحرائر الكنائيات، وحرّم على الكافر الإماء المسلمات؛ ألا ترى أن الله أمرنا بأخذ المال من المسلم؛ طهرة وتزكية، ومن الكافر صغاراً وذلة؟. فمن هذا وذاك علمنا أن الله وضع الكافر موضع الذليل الصغير للمسلم، فأني يتساويان؟ إن المساواة من الشعارات التي أطلقتها الماسونية اليهودية، تضليلاً للناس، وفتنة لهم، لتقوم الصراعات بين الأفراد وبين الطبقات مطالبين بتحقيق المساواة المنافية والمصادمة لقانون الحق والعدل.

وقامت الثورة الفرنسية التي دبرها المكر اليهودي تحمل شعارها المثلث العدل والحرية والمساواة، والمساواة أحد أركانه.

واندفعت الجماهير مفتونة بشعار المساواة، ومخدوعة بالمساحة القليلة المقبولة منها، ولكن اللعبة المضللة زحفت بالمساواة زحفاً تعميمياً باطلاً، ونشراً لفساد عريض.

وقامت فتن عامة تطالب بتحقيق المساواة، ونجم عن ذلك خلخلة في نظام الحياة، وإفساد للمجتمع البشري.

(١) سورة النساء الآية (١٤١).

(٢) سورة الحشر الآية (٢٠).

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٢٥٤/٢٩)، وتفسير القرطبي (٣٠/١٨)، واللباب (٦٠٨/١٨، ٦٠٩).

(٤) الأم (٣٣٩/٧).

وزحف هذا الشعار إلى أدمغة مفكرين وعلماء وكتاب، فجعلوه في مقولاتهم أحد المبادئ الإنسانية الصحيحة، وأحد المبادئ الإسلامية المجيدة، غفلة منهم، وانسياقا مع بريق الشعارات التي تروجها وسائل الإعلام الشيطانية المضللة.

وتحت هذا الشعار الخادع البراق أخذ الجاهلون يطالبون بمساواة العلماء، والضعفاء بمساواة الأقوياء، والكسالى يطالبون بمساواة العاملين الجادين، والمنحرفون يطالبون بمساواة ذوي الاستقامة، والنساء يطالبن بمساواة الرجال في كل شيء، والفاشلون يطالبون بمساواة الناجحين، واضطربت الحياة، وقامت الثورات، واستثمرها اليهود لمصالحهم.

إن مما ينبغي التأكيد عليه أن نظام الخلق تحكمه سنة التفاضل لا التساوي، فشعار المساواة بصيغته التعميمية يتنافى مع نظام الخلق، هو مطلب مناقض لمبدأ العدل، إلا في بعض الأحوال، وهي التي يقضي العدل فيها بالتساوي.

فالإسلام يحمل ويحمي مبدأ العدل، ومبدأ الإحسان، ولا يقر المساواة على اعتبارها مبدأ عاما، وقاعدة مطردة، إنما يقرها حينما يقتضيها العدل، أو يتبرع بها المحسنون.

وإنما يقتضي العدل المساواة حينما يكون واقع الأفراد واقعا متساويا تماما في كل الصفات، أو تكون المساواة في الصفات التي كان فيها التساوي، دون الصفات الأخرى المتفاضلة فيما بينها إن هذا المبدأ كان من أهم المبادئ التي جذبت الكثير من الشعوب قديما نحو الإسلام، فكان هذا المبدأ مصدرا من مصادر القوة للمسلمين الأولين^(١)، وليس المقصود بالمساواة هنا (المساواة العامة) بين الناس جميعا في كل أمور الحياة كما ينادي بعض المخدوعين ويرون ذلك عدلا^(٢)، فإن مما لا يجب أن نغض الطرف عنه كما فعل المتسولين علي موائد الغرب وممن تسبوا في تغريب الأمة وتخريب عقول أبنائها تحت مظله هذا المبدأ الذي ظنوا أن تطبيقه في بلاد الإسلام من شأنه أن يرفع من شأنها ويجعلها في مصاف الدول المتقدمة فأصابوا بذلك أخلاقيات الأمة في مقتل.

إن الله U خلق الخلق علي التفاوت وإن البشرية لن ينصلح حالها لاسيما الذين يدينون بالإسلام منهم إلا بالتسليم للفوارق الطبيعية الجبلية التي خلق الله الخلق عليها والتي من شأنها إحداث التوازن الاجتماعي بين مختلف عناصره هذا التوازن المفقود الآن ليس في الدول التي تدين بالإسلام فحسب بل في العالم أجمع، قال الله U (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٣). وقال الله U (أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) انظر: مبادئ نظام الحكم في الإسلام، عبد الحميد متولي ص (٣٨٥).

(٢) ينظر: الأخلاق الإسلامية وأساسها للميداني (١/٦٢٤).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٦٥).

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ^(١)، فالاختلاف في المواهب والقدرات والتفاوت في الدرجات غاية من غايات الخلق^(٢). ولكن المقصود المساواة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية مساواة مقيده بأحوال فيها التساوي وليست مطلقة في جميع الأحوال^(٣) فالمساواة تأتي في معاملة الناس أمام الشرع والقضاء وكافة الأحكام الإسلامية والحقوق العامة دون تفريق بسبب الأصل أو الجنس أو اللون أو الثروة أو الجاه أو غيرها^(٤).

المطلب الثالث: دعوة الإخوان إلى الحرية المطلقة والرد عليها:-

دعوة الإخوان إلى الحرية المطلقة:-

من الأفكار الخبيثة التي دعا إليها الإخوان المسلمون، وروجوا لها، فكرة الحرية المطلقة، هذه الفكرة التي يجارون فيها الأفكار الغربية، والمدقق النظر في كنه هذه الفكرة يجد عبارات عديدة لمنظريهم ومفكريهم، تدعو هذه العبارات إلى الحرية المطلقة بشعارات دينية، ويبرزونها للناس على أنها واجب ديني.

قال عبد السلام نوح: في كتابه (الطريق إلى الجماعة الأم) نقلا عن حسن البنا (إن دعوة الإخوان غير موجهة ضد أي عقيدة من العقائد، وإننا لا نكره المواطنين الذين في البلاد العربية حتى اليهود)^(٥).

وقال الغنوشي: (إنه يجب طرح الإسلام مثل غيره، ويجب احترام إرادة الشعوب، ولو طالبت بالإلحاد والشيوعية)^(٦)، ففي قول الغنوشي تهوين من شأن الإسلام وتعاليمه، وكيف نحترم إرادة شعب ما إذا طالبت بالإلحاد والشيوعية، وهو يساوي هنا بين الإسلام وغيره من الاتجاهات الدينية الباطلة والمنحرفة عن الطريق المستقيم، وقال التلمساني: (يجب احترام الرأي الحر للآخرين، وليس من الحرية أن أحول بين الناس وبين آرائهم)^(٧)، وقال محمد حامد أبو النصر: (لا مانع من وجود حزب علماني أو شيوعي في ظل الحكم الإسلامي)^(٨).

(١) سورة الزخرف الآية (٣٥)

(٢) ينظر: فلسفة التربية الإسلامية، ماجد عرسان الكيلاني، ص (١٧٩)

(٣) ينظر: الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، شوكت محمد، ص (٣٠٨)

(٤) ينظر: مبادئ علم الإدارة / محمد نور الدين ص (١١٦)

(٥) الطرق إلى الجماعة الأم ط ٢ ص (٩٤)، نقلا عن خطاب للبنّا بمدينة الإسماعيلية بمناسبة مرور ٢٠ عام علي إنشاء الجماعة بتاريخ ١٩٤٨/٩/٥.

(٦) السابق ص (١٨٣).

(٧) ينظر: كتب وشخصيات لسيد قطب ط ٣ ص (١٨)، دار الشروق (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

(٨) ينظر: جريدة النور العدد ٨٤٨ الصادر في ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ.

ففي كلام المرشدين السابق إقرار بالحرية المطلقة على حساب الدين الإسلامي وفطرته السليمة، بل نجد في كلام أبي النصر خروجاً لا يقره الدين، إذ يبيح وجود العلمانية أو الشيوعية في ظل الحكم الإسلامي، وكلا المذهبين لا يعترف بوجود إله، فكيف يبيح لهما أن يوجد؟.

قال سيد قطب داعياً إلى الحرية المطلقة: (والإسلام لا يريد حرية العبادة لأتباعه وحدهم، إنما يقرر هذا الحق لأصحاب الديانات المخالفة، ويكلف المسلمين أن يدافعوا عن هذا الحق للجميع، ويأذن لهم في القتال تحت هذه الراية، راية ضمان الحرية لجميع المتدينين، وبذلك يحقق أنه نظام عالمي حر، يستطيع الجميع أن يعيشوا في ظله آمنين، متمتعين بحرياتهم الدينية، المساواة مع المسلمين وبمحمية المسلمين)^(١).

إن من ينظر إلى أقوال الإخوان السابقة يرى أنها ليست مستندة إلى أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بل إن أدلتهم التي جاءوا بها هي على خلاف ونقيض كلام الله ورسوله، ألم يقرأ هؤلاء قوله تعالى: (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِهِمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)^(٢).

فلم يقل الله في الآية الكريمة: تتركوهم وهوامهم - كما يزعم هؤلاء المدعون - فعلى كل من يقرأ أفكارهم وآراءهم أن يتنبه لأقوالهم حتى لا يضل ويقع في الإثم.

وإنما قالوا بالحرية المطلقة لأنها توافق القوانين والمواثيق الدولية الحديثة التي نصت على حق الإنسان في الحرية، لكنها الحرية المطلقة من كل قيد، وهو ما يخالف نظرية الحرية في الإسلام التي تقوم على إطلاق حرية الفرد في كل شيء ما لم تتصادم بالحق أو المصلحة العامة، فإن تصادمت مع شيء من هذا أصبحت اعتداء يتعين وقفه أو تقييده.

وما من شك أن المنظور الإسلامي للحرية هو الذي يتوافق مع الفطرة الإنسانية، ومع مصالح الناس، ويكفل لهم الأمن والطمأنينة والاستقرار، وعلى ذلك لا يعرف الإسلام عن الحرية الانطلاق وراء الهوى من غير قيد من حكم الإيمان والعقل، إنما الحرية تبتدئ بتحرير الإرادة والعقول من أغلال الأهواء^(٣).

وهناك عدة ضوابط قد أتى بها الإسلام للفرقة بين الحرية والفوضى، ومن تلك الضوابط ما يلي:

١ - أن الإسلام قد أخضع الهوى للإيمان .

(١) ينظر: نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب، ص (١٠٦)، والإخوان المسلمون والديمقراطية، ص (١٢١).

(٢) سورة الفتح الآية (١٦).

(٣) ينظر: العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ محمد أبي زهرة، نشر دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص (٢٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (فالإنسان الحر حقاً هو الذي يعبد الله وحده، فكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره ويذل له)^(١).

٢ - اعتبر الإسلام أن الرجل القوي هو الذي يسيطر على هواه في غضبه، قال ٣: "ليس الشديد بالصرعة - أي: الذي يصرع الرجال - إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"^(٢).
كذلك فإن الإسلام قد عنى بحق الغير، فالإنسان الذي يحس بحق الناس، لا يخطئ فيهم، كاتباً كان أو صحفياً، أو كان فرداً عادياً، وفي الحقيقة فإن هذه الضوابط ليست قيوداً على الحرية بل حماية وصيانة لها^(٣).

٣ - كما أن الإسلام في سبيل صيانتها للحرية قام بتربية النفس تربية ربانية، ومخاطبة الوجدان الإنساني خطاباً يستجيش العاطفة، ويوقظ النفس الإنسانية، ويربأ بها عن المهالك والزلات. وهكذا يعلمنا رسول الله ٣ حين يقول: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"^(٤).

مفهوم الحرية في السياسة الشرعية: -

إن الحرية حق أساسي من حقوق الإنسان^(٥) التي أرست قواعدها الشريعة الإسلامية، وشمل جوانبها القرآن الكريم والسنة النبوية، والحرية حق للإنسان، ولكنها مثل كل الحقوق، لها وظيفة اجتماعية تجمع الناس، ولا تفرق بينهم، وتحفظ لكل حقه؛ ولذا فلا يجوز إهدار الحرية ولا تجاوزها، ولها ضوابطها وقيودها ومجالاتها^(٦).

والشريعة الإسلامية حررت الإنسان من تعبدته للإنسان والمخلوقات، وحفظت كرامته ومنحته حريته، فجعلت التشريع من خصائص الألوهية؛ لأن الذي يشرع للناس يأخذ فيهم مكان الألوهية، ويستخدم خصائصها، فهم عبيده لا عبيد الله، ومتبعين هواه لا دين الله^(٧).

(١) ينظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص (٥٦).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٩٠٦/٢) كتاب: حسن الخلق، باب: ما جاء في الغضب، ح (١٢)، والبخاري (٥٣٥/١٠) كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب (٦١١٤)، ومسلم (٢٠١٤/٤) كتاب البر والصلة، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب (٢٦٠٩).

(٣) ينظر: حرية العقيدة في الشريعة الإسلامية د. أحمد رشاد طاحون، ص (٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٠/١) كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ٣ عن الإيمان والإسلام (٥٠)، ومسلم (٣٦/١، ٣٨) كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث (٩، ٨/١).

(٥) حقوق الإنسان في الإسلام تأليف د/عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ١٤١٩هـ - (٥٥/١).

(٦) حقوق الإنسان في الإسلام تأليف د/عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية ١٤١٩هـ - (٥٥/١).

(٧) الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، تأليف الأستاذ الدكتور/سعد الدين السيد صالح الناشر: دار التقوى، ص (٢١٩).

فمفهوم الحرية في الفكر السياسي الإسلامي يأتي منطلقاً من حقيقة الإسلام باعتباره إشراقاً لتحرر الفرد والمجتمع عن طريقها من كل خوف، وسما على كل شرك فأصبح الناس سواسية لا فضل لأحد على سواه إلا بقدر ما أصاب بتقوى في الدين والعلم بأموره، والإحاطة بأحكامه لقول الله U (أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آثَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)))^(١).

ولذلك فإن الإسلام قد أشار إلى حرية الإنسان في أن يعتقد ما شاء، ويؤمن بما أراد عن بينة وإدراك لما أقدم، دون جبر ودون قهر أو إكراه، فكان أساس الدعوة استقلال الفكر وحرية الفرد من منطلق المساواة بلا تمييز بسبب اللغة أو اللون أو الجنس^(٢).

من هنا قد رسم التشريع الإسلامي نظرية للحقوق والحريات، لم يصل إليها بعد أحدث النظريات في النظم الوضعية، حين قسم الفقهاء الحقوق استنباطاً من النصوص^(٣) إلى: حقوق لله، وحقوق للعباد، والأول ينقسم إلى ثلاثة حقوق: حق لله خالص مثل: حقه في التشريع ابتداءً، وحقه في إقامة حد الزنا وحد شرب الخمر، وحق لله غالب مثل حد القذف، فإنه وإن كان حقاً لله فإن للعبد فيه حقاً أن يصاب عرضة، لذلك كانت الدعوى شرطاً فيه، أما حق العبد الغالب مثل: القصاص، فإن له أن يعفو ويصفح، ومع عفوهِ لرئيس السلطة الحاكمة أن يوقع التعزير الملائم، فإن هذه الحقوق تستهدف تحقيق مقاصد الشارع الحكيم، وهي المقاصد الشرعية العليا التي عجزت النظم الوضعية عن بلوغها، والاعتداء على حق العباد يولد حقاً في الدفاع الشرعي، والاعتداء على حقوق الله الخالصة أو الغالبة لا يولد حقاً بل واجبا في الدفاع الشرعي العام، وأن الفقهاء يعالجون عادة الدفاع الشرعي الخالص تحت عنوان دفع الصائل، والدفاع الشرعي العام تحت عنوان الحسبة^(٤).

والحق في التشريع الإسلامي له معني عام يشمل الحريات وغيرها، ذلك لأن كلمة الحق قد تعني حقاً لله، أو حقاً مالياً، أو حرية من الحريات، لذلك يستعمل فقهاء التشريع الإسلامي في بعض الحالات لفظ الحق عاماً ليشمل الحقوق والحريات^(٥).

فالحقوق والحريات في النظام الإسلامي تتقرر على أساس قوامه أن آدميين جميعاً مكرمون

(١) سورة الزمر الآية ٩.

(٢) أحد قضايا الحرية، تحقيق: التوازن بين الحرية السياسية والاجتماعية مقال بجريدة الأهرام، د/حسن الفقي، ٢ يونيو، عام ١٩٧٧م.

(٣) أركان الشرعية الإسلامية، د/علي جريشة، مكتبة وهبة، القاهرة (١٩٧٩) ص (٦٧).

(٤) الدولة ونظام الحكم، د/السيد بسيني، ص (١١٩).

(٥) دعائم الحكم في الشريعة الإسلامية والنظم الدستورية المعاصرة الحريات العامة، د/إسماعيل البدوي، دار الفكر العربي، القاهرة،

ص (٢٠). ١٩٨٠م.

من قبل الخالق U كما جاء في قول الله U (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠))^(١).

وفي هذه الآية نجد أن الله U كرم بني آدم جميعاً، وهذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوان مثله، وتسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم^(٢)، فهم جميعاً حكماً كانوا أو محكومين مخلوقون لعبادة الله لقول الله U (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦))^(٣) والعبادة تعني الخضوع الاختياري لسلطان الله المطلق، وتعريف شؤون الفرد والجماعة على حسب ما فضل الله U في شرعه، فالحقوق والحريات الفردية أو العامة في ظل ممارسة السلطة الحاكمة أعمالها واختصاصاتها في النظام الإسلامي أساسها العقيدة، ونظامها الشريعة، وضوابطها الالتزام بالتشريع الإسلامي، وهي منح إلهية من الله U الذي كرم الجنس وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وبهذا قد وجد التشريع الإسلامي الغاية والهدف بالنسبة لكل من الفرد والسلطة الحاكمة فهي عبادة الله والخضوع لسلطانه بتنفيذ شرعه في الحقوق والحريات، ومن ثم لا يوجد في النظام الإسلامي عدوان على حق مهما كانت طبيعته، فحقوق الأفراد وحرياتهم محمية مرعية، ولكن ليس على حساب الجماعة، وكذلك العكس، ولكن مع عدم الاستبداد أو الطغيان الذي يؤدي إلى وأد مصالح الأفراد^(٤).

فالأمن والطمأنينة والاستقرار حقوق للفرد والمجتمع تلتزم الدولة بحمايتها وصيانتها؛ لذا تعد الشرعية هي صمام الأمان النظامي لحماية الحرية الشخصية للفرد من أي تجاوز أو اعتداء من قبل بعض رجال السلطة؛ فالحرية ليست معناها أن يفعل الإنسان ما يشاء كما يريد ووقتاً يريد، ولكن الحرية تنتهي حينما تبدأ حرية الآخرين، مع التقيد بعدم الإضرار بالآخرين وبأمن وطمأنينة المجتمع^(٥).

إن مما ينبغي التأكيد عليه والإشارة إليه أن مصطلح الحرية بالمفهوم العام ظهر في ظروف الاستبداد الدكتاتوري الذي كان سائداً في أوروبا قبل الثورة الفرنسية، وإبان مصادرة حريات الطبقات الضعيفة في المجتمع، وحريات الأفراد الذين لا يملكون انتزاع حقوقهم في معظم

(١) سورة الإسراء الآية (٧٠).

(٢) تفسير فتح القدير (٢٤٤/٣).

(٣) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٤) المبادئ العامة د/محمد فرحات، ص (٤٩).

(٥) ندوة القضاء والأنظمة العدلية والتي نظمتها وزارة العدل في المملكة العربية السعودية بالرياض. في شهر صفر من عام ١٤٢٥هـ الموافق إبريل عام ٢٠٠٤م. من ورقة عمل مقدمة من أ.د/محمد محيي الدين عوض، تحت عنوان الطمأنينة للفرد والمجتمع في عدالة الإجراءات القضائية.

الاجتمعات الغربية، انطلق دعاة الحرية ينادون بها مبدأ إنسانيا .

وصادمت الماسونية والمكر اليهودي فيها شعار الحرية، وجعلته أحد مبادئها، ثم قامت الثورة الفرنسية التي كان المكر اليهودي وراء تدبيرها والتخطيط لها، وتحريك القوى لاندلاعها، وتنظيم المنظمات لتفجيرها، والتربص لاستثمارها، واستغلالها، والانقضاض على غنائمها بعد قيامها ونجاحها ، فجعلت هذه الثورة الحرية واحدا من شعارها المثلث : "الحرية - المساواة - الإخاء"، واندفعت الجماهير مفتونة بشعار الحرية، وهي لا ترى من معاني الحرية إلى مساحة محدودة مقبولة معقولة، يتحقق لها بها الخلاص من الظلم الاجتماعي الذي تعاني منه، والخلاص من الاستبداد الضاغظ عليها، والقاهر لإرادتها بقوى ظالمة آثمة، طاغية غاشمة.

ونشط شياطين الإنس بقيادة المردة من يهود يروجون لشعار الحرية ، ويوسعون من مساحة دلالتها شيئا فشيئا ، حتى تشمل كل سلوك فردي أو جماعي يحقق أهداف الإفساد في الأرض، وتدمير كل القيم الدينية والخلقية، وإماتة الوازع الديني والخلقي في الأفراد، وتحطيم النظم الاجتماعية الإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها، بغية إضعاف البشرية، وتمكين اليهود في العالم من السيطرة التامة عليها بعد إضعافها وتفتيتها، وبثها بثا متنافراً متبايناً متعادياً متصارعاً متقاتلاً.

ونجم عن إطلاق شعار الحرية دون أن تكون محصورة في المساحة التي تكون فيها نافعة وصالحة، انطلاق الوحش البشري مفسدا مدمرا محطما الفضائل، والأخلاق، والقيم الدينية، والنظم الاجتماعية، ومحطما مبادئ الحق والعدل، ومستغلا شعار الحرية لتبرير كل فساد وإفساد، ولاستخدام القوة التي تعتمد عليها الثورات مع ما تشعله من فتن، لمصادرة حياة خصومها، وأمنهم ومالههم وحقوقهم، ولخاربة كل منصف يجب الحق والعدل والفضيلة، ويطالب بسيادة هذه القيم.

وفهم المجرمون الحرية على معنى إطلاق أيديهم في ارتكاب الجرائم على ما يشتهون، قتلاً وسلباً، وظلماً وعدواناً.

وفهم الفاسقون والفاسقات الحرية على معنى أن لهم الحق الكامل في أن يفسقوا ويفجروا على ما يشتهون، دون أن يكون لأحد أو جهة ما حق في محاسبتهم ومعاقبتهم، أو كفهم عن فسقهم وإباحيتهم التي لا تحدّها حدود.

وفهم محتالو سلب الأموال الحرية على معنى إطلاق أيديهم في ألوان الغش والاحتكارات، وحيل المضاربات، وخدع القمار، وأشباه ذلك، لسلب الناس أموالهم وهم غافلون.

وفهم العمال والصناع والأجراء الحرية على معنى استخدام تكتلاتهم وتنظيماتهم للوصول إلى الاستيلاء على أموال أرباب العمل، ومصانعهم، وممتلكاتهم، ونهبها وسلبها، أو استحقاق

الأجور المرتفعة دون أن يقوموا بعلم يستحقون عليه الأجور التي يطالبون بتقاضيتها.
وفهمت النساء الحرية على معنى انطلاقهن من ضوابط العفة، وتمردهن وانسياحن بحسب أهوائهن، وتفلتهن من كل واجب اجتماعي، وكل ضابط خلقي.
وفهم المراهقون والمراهقات، والفتيان والفتيات الحرية على معنى الانفلات الأرعن، والتمرد على الرعاية من الأسرة، وعلى المربين والمعلمين.

هكذا عمم المفسدون في الأرض من اليهود ونوابهم الحرية تعميماً مدمراً للإنسانية وكرامتها، ومخرجاً للإنسانية عن موقعه الذي وضعه الله فيه موضع الابتلاء المستتبع بالحساب والجزاء، وقاذفاً به إلى مستوى الأنعام أو أضل سبيلاً.

هذا هو ما كان المفسدون في الأرض قد أرادوه وخططوا له ، وأطلقوا من أجله شعار الحرية، ووسعوا من مساحتها حتى عموها تعميماً فاسداً مفسداً، مصادماً للحق والخير والفضيلة والجمال والكمال.

إن الحرية مثل النار لا تستخدم إلا ضمن حدود وضوابط، وبحذر شديد، ومراقبة تامة، وإلا أكلت الأخضر واليابس، وابتلعت كل شيء أتت عليه.

إن الحرية المقبولة المعقولة في واقع الناس ذات مجال محدود، وهذا المجال المحدود لا يجوز تجاوزه ولا تعديده، لا في منطق العقل، ولا في منطق مصلحة الإنسان في ذاته، ولا في منطق مصلحة المجتمع البشري.

فإذا تجاوزت حدودها كانت وحشاً مفترساً، أو نارا هائجة نائرة محرقة، أو سيلاً عروماً مدمراً، وكانت نذير شؤم وخراب، وفوضى واضطراب، وصراعات بشرية تدمر الحضارات، وتمهد لأن تحل بهم سنة الله في الذين خلوا من قبلهم، إهلاك عام وعذاب أليم.
إن الحرية المقبولة المعقولة التي يقرها الإسلام تقع ضمن المجالات التالية، وعلى وفق القيود المبينة فيها.

المجال الأول: حرية الاعتقاد ، فالإنسان المستول المكلف حر في هذه الحياة الدنيا في أن يؤمن بقلبه بما يشاء، من حق أو باطل، لكنه ملحق بالمسؤولية عند الله U عن اختياره الذي كان حراً فيه، وكانت حريته هي مناط ابتلائه وامتحانه في الحياة الدنيا.

وهي هنا حرية الممتحن المسئول، وليست حرية مطلقة خالية من المسؤولية والجزاء.
دل على هذه الحرية الملاحقة بالمسؤولية والجزاء عند الله عدة آيات قرآنية، منها قول الله U (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ

سُرَادِقُهَا^(١)، ومنها قول الله U (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)^(٢)

المجال الثاني: حرية العبادة على وفق الاعتقاد، والحرية هنا كسابقتها هي حرية الممتحن المسئول الملاحق عند الله بالحساب والجزاء، وليست حرية مطلقة خالية من المسؤولية والجزاء دل على هذه الحرية الملاحقة بالمسؤولية والجزاء الرباني، قول الله (U قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)^(٣) ، وقول الله (U إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(٤).

المجال الثالث: حرية اختيار ما يريد الإنسان ويشتهي ويهوى مما أباح الله في شريعته لعباده من عمل ظاهر أو باطن.

وهذه الحرية غير ملاحقة بالمسؤولية، ما لم ينجم عنها لدى استعمال ترك واجب، أو فعل محرم، أو عدوان على حق الغير فردا كان أو جماعة.

وإنما كانت الحرية في هذا المجال غير ملاحقة بالمسؤولية لأن الرب الخالق سبحانه وتعالى الذي له الخلق والأمر، قد منحها ذلك، فأباح لها أن تختار ما تشتهي من أصناف أو أفراد داخلية في دائرة المباحات التي أباحها، وأنزل فيها إذنا شرعيا في دائرة المباحات التي أباحها بفعل أو ترك. وما أباح الله من سلوك شخصي لا علاقة للمجتمع به، أو لا يمس إنسانا بضرر، فلا حق لأحد أيا كان بأن يجرمه منه، أو يمنع عنه.

ومن الخير للمجتمع أن يترك هذا المجال مفتوحا للناس، يعبرون فيه عن حرياتهم الخاصة، ويشعرون فيه باستقلاليتهم.

المجال الرابع: حرية تعبير الإنسان عن أفكاره وآرائه، ما لم يكن مضللا بباطل واضح البطلان، أو داعيا لضرر أو شر أو أذى، أو مشجعا على إحداث الحق ونصرة الباطل، ونشر الظلم والعدوان والفساد في الأرض.

المجال الخامس: كل ما للإنسان فيه حق مشروع واضح للجميع ولا يحتاج إثباته إلى دعوى قضائية، فإنه يملك الحرية في الحصول عليه بوسيلة مشروعة، لا ضرر فيها ولا عدوان ولا ظلم ولا أذى، ولا مخالفة فيها لما أمر الله به أو لما نهى عنه.

وأما ما لا حق للإنسان فيه فمن حق المجتمع أن يحجر على حريته فيه.

(١) سورة الكهف، الآية (٢٩) .

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

(٣) سورة الزمر، الآية (١٤) .

(٤) سورة فصلت، الآية (٤٠).

إذا عرفنا المجالات التي يملك فيها الإنسان الحرية الملاحقة بالمسؤولية والجزاء ، والحرية غير الملاحقة بالمسؤولية ، يتضح لنا ما يلي:

الأول: إنه لا حرية في ظلم ولا عدوان ولا هضم لحقوق الآخرين.

الثاني: لا حرية في مخالفة الحق والعدل الخير في كل سلوك عملي ذي أثر مادي يضر المجتمع أو يؤذيه أو يفسد نظامه.

الثالث: لا حرية لمن آمن برسالة الإسلام ، وبإيع على الالتزام بأحكامه وشرائعه، في أن يخالف أحكامه بترك فرائضه وارتكاب محرماته، وإلا كان عرضة للملاحقة بالمسؤولية، وبالجزاء المقرر في أحكامه من قبل سلطة الدولة الإسلامية، إذا كانت المخالفة لها عقوبة دنيوية مقررة في الإسلام .

ومما يخالف أحكام الإسلام، الانتحار، أو ارتكاب ما يضر بجسم الإنسان أو نفسه أو ملكاته الفكرية.

الرابع: من أعلن دخوله في الإسلام ، فقد أعلن التزامه به وبأحكامه ، فلا حرية له بعد ذلك في الردة عنه ، وإلا فهو ملاحق بعد استنابته بالمسؤولية الجزائية التي عقوبتها القتل ، ولا حرية له أيضا في الاعتراض على أحكامه وشرائعه المقررة.

الخامس: لا حرية لمسلم ولا لذمي ولا لمعاهد ولا لمستأمن في دار الإسلام، في الطعن بالعقائد والشرائع والأحكام الإسلامية، المجمع عليها، أو التشكيك فيها، أو تشويهها أو تحريفها، أو القيام بما يسيء لنظام الإسلام، أو لدولته، أو لجماعة المسلمين، لأن في ذلك نقضا لما التزم به كل منهم. ولا حرية لأحد من هؤلاء في الدعاية لأعمال حرمها الإسلام، أو لأشياء حرم الإسلام تناولها كالخمر، أو الترويج لأفكار مناقضة لحقائق الإسلام وتعاليمه.

ولا حرية لأحد منهم في تأسيس مؤسسات عامة أو خاصة تشتمل على أعمال أو أشياء محرمة في الإسلام، كبنوك ربوية، أو بيوت للقمار، أو بيوت للزنا والدعارة والفجور، أو حانات لبيع الخمر وشربها، أو مصانع لصناعتها، ولكن يسمح للنصارى بشربها وصناعتها داخل بيوتهم، دون أن يتظاهروا بذلك أمام المسلمين.

هذه هي نافلة القول في الحرية من منظور شريعة رب العالمين وهذا هو ما ينبغي أن يدين باعتقاده كل مسلم جعل الآخرة أكبر همه والله أسأل أن يجعلنا كذلك.